الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة ابن خلدون – تيارت–

كلية الآداب واللغات

قسم اللغة والأدب العربي

الفرع: دراسات أدبية التخصص: أدب حديث ومعاصر

مذكرة تخرج لنيل شهادة الماستر المرسومة بـ

إشكاليات مصطلحية

(الأدب القومي، الأدب المقارن، الأدب العام، الأدب العالمي)

إعداد الطالبتين : إشراف الدكتور :

❖ وذان فاطيمة الزهرة * علي بوعزيزة

❖ لمطوش كريمة

أ.د/ بولخراص محمد ..... رئيسا

أ.د/ علي بوعزيزة ..... مشرفا ومقررا

أ.د/ مزيلط محمد ..... عضوا

السنة الجامعية: 1441 – 1442 هـ / 2020 – 2021 م

شكر و تقدير

الحمد لله والصلاة والسلام على الرسول القائل (من لا يشكر الناس لا يشكر الله) رواه الترمذي في سننه.

ما أعظم نعمة الله علينا أن شرفنا بالكتابة عن هذا الموضوع، كما أننا نحمده ونشكره على نعمه، وتوفيقه لنا لإتمام هذا العمل.

كما نتوجه لمشرفنا الدكتور علي بوعزيزة الشكر والتقدير، وخالص العرفان، فقد كان لنا مدرسة اقتبسنا منها العلم النافع، والتوجيه الشامل، فجزاه الله خير جزاء، ولا يفوتنا أن نسجل شكرنا لجامعة ابن خلدون، كما نتقدم بالشكر والعرفان إلى أساتذتنا الكرام، ونسأل الله أن يبارك لهم في أعمالهم وأعمارهم، دون أن ننسى كل من أعاننا في مشوارنا الدراسي من والدين وأساتذة ومعلمين، فجزاهم الله عنا كل خير.

إهداء

إلى من علمتني العطاء وغمرتني بحنانها و كرمها أمي الحبيبة حفظها الله وأطال في عمرها، إلى أبي رحمه الله، إلى أخواتي وسندي في الحياة، إلى كل عائلتي، إلى الطيبات صديقاتي، إلى كل من له الفضل في الأخذ بيدي إلى طريق العلم والمعرفة، أهديكم خلاصة جهدي العلمي.

فاطمة الزهراء

إهداء

إلى من دفعني برزق ومحبة إلى مواصلة العلم، إلى من أسرني بحبه، إلى والدي العزيز على قلبي، إلى الروح التي سكنت روحي و رافقتني بالحب و الحنان إليك زوجي الغالي، إلى كل عائلتي و عائلة زوجي، إلى رفيقة دربي قبل أن تكون زميلتي في المذكرة فاطمة الزهراء، إلى كل من لهج لسانه بذكر لا إله إلا الله محمد رسول الله.

كريمة

مقدمة

مقدمة

الحمد لله والصلاة والسلام على سيدنا محمد خاتم النبيين و إمام المرسلين، أما بعد:

إن الأدب هو ذلك الإبداع الفني الذي يتم بواسطة اللغة، يقوم الناقد بدراسته وتحليله للحكم له أو عليه، فالأدب هو التأثير، وكل تأثير يحدث عن طريق اللغة هو أدب، وهناك صلة بين الأديب والقارئ فالأديب مؤثر والقارئ متأثر.

ولعل الثروات الأدبية لا تُوزع متساوية على الأمم والعصور ولا تحتفظ بمستواها أينما كانت، لذلك قسمها مؤرخو الأدب عصورا و أساليب ومدارس، فصار لكل أمة أدب والأمة التي لا أدب لها لا تاريخ لها، تتباها كل أمة بأدبها وتفتخر وتسعى جاهدة إلى تطويره وترقيته عن طريق الاقتباسات والتأثيرات الأجنبية يقوم النقد الأدبي بدراسته وتحليله وتمحيصه حتى إذا وجد فيه ما هو دخيل ووافد من آداب أخرى تدخل الأدب المقارن لدراسته فأبرز أصالته و تأثيراته ليرتقي به إلى عالمية الأدب فيكون له صيته ورواجه ومكانته.

لعل هذه المصطلحات المتشابهة والمتداخلة في ذهن القارئ، هي الحافز الذي دفعنا لاختيار هذا الموضوع لمذكرتنا، وسمناه بـ: إشكاليات مصطلحية (الأدب القومي، الأدب المقارن، الأدب العام، الأدب العالمي)، وقد كانت هناك أسباب ودوافع ذاتية وموضوعية جعلتنا نختار هذا الموضوع منها: سهولة هذا الموضوع، ورغبتنا في التعرف على هذه المصطلحات وفهمها، عدم دراسة هذا الموضوع من قبل.

تنطلق إشكالية موضوع بحثنا من التساؤلات التالية: ما مفهوم هذه المصطلحات (الأدب القومي، الأدب المقارن، الأدب العام، الأدب العالمي)؟ وما هي مجالات اختصاصها؟ كيف تتقاطع وتتماهى أحيانا؟.

وللإجابة على هذه التساؤلات رسمنا خطة مفصلة استوت واحتوت مدخلا وثلاثة فصول، فالمدخل تحدثنا فيه عن الأدب القومي، أما الفصل الأول فكان معنونا بالأدب المقارن، وضم ثلاث مباحث، الأول تناولنا فيه مفهوم الأدب المقارن، النشأة والتطور، أما الثاني بعنوان أهمية الأدب المقارن ومجالاته وشروط المقارن وعُدته، والثالث خصصناه لمدارس الأدب المقارن، أما الفصل الثاني فعنوناه بالأدب العام، تكون من ثلاث مباحث، الأول مشكلة المصطلح وحقل اختصاص الأدب العام، والثاني بعنوان مجالات الأدب العام ومناهجه، أما البحث الثالث كان عبارة عن الإرهاصات الأولى للأدب العام، والفصل الثالث و الأخير سميناه الأدب العالمي، وكذلك تضمن ثلاث مباحث، الأول مفهوم الأدب العالمي، والمبحث الثاني الإرهاصات الأولى للأدب العالمي ومنهجه، أما الثالث بعنوان معايير الأدب العالمي ومؤشراته، وختمنا بحثنا بجملة النتائج التي توصلنا إليها، وأعقبنا ذلك بقائمة من المصادر والمراجع التي كانت منبع نهلنا نذكر من

بينها: الأدب المقارن والأدب العام لريمون طحان، الأدب المقارن أصوله وتطوره ومناهجه للدكتور الطاهر أحمد مكي، آفاق الأدب المقارن عربيا وعالميا لحسام الخطيب، الأدب المقارن لمحمد غنيمي هلال، الأدب المقارن لبول فان تييغم.

فرض علينا هذا البحث منهجا تاريخيا في تتبع مراحل بعض مجالاته، ومنهجا وصفيا تحليليا أحيانا في تقيم وصف وشرح بعض المفاهيم. واجهتنا بعض الصعوبات والعراقيل منها: عدم عثورنا على بعض الكتب كنا في أمس الحاجة لها، صعوبة الإلمام بالمعلومات، صعوبة التواصل عن بعد.، لكننا تجاوزناه بصبر وأناة جاهدين لإتمام هذا المشوار الذي أعوزه ضيق الوقت.

لا يسعنا في الأخير إلا أن نتقدم بوافر الشكر والتقدير وعظيم الامتنان وجميل العرفان إلى أستاذنا الفاضل الدكتور بوعزيزة علي الذي تولى هذا البحث بإشرافه وتوجيهه لنا طيلة العام الدراسي فجزاه الله خير الجزاء.

تيارت: 2021/07/09

الطالبة: وذان فاطيمة الزهرة

الطالبة: لمطوش كريمة

مدخل: الأدب القومي

الأدب القومي:

الأدب هو ذلك الإبداع الفني الذي يتم بواسطة اللغة، يقوم الناقد بدراسته وتحليله للحكم له أو عليه داخل إطار لغته القومية أو الوطنية أو المحلية.

قد يختلف المقارنون في منظوراتهم إلى الدرس المقارن للأدب، وقد تختلف مناهجهم في تدبر هذا الأدب باختلاف المدارس التي يتبعون خطاها في هذا الدرس، ولكنهم لا محالة سيجدون أنفسهم منشغلين بمجموعة من الآداب القومية التي تتفاعل فيما بينها، وتيسر لهم بذلك فرصة لتدبر صور هذا التفاعل بدراستها من وجهة نظر معينة تشرحها وتتبين أبعادها، ومن ثم تيسر فهمها على القارئ الذي يغتني بهذه الدراسة، مثلما تغتني بها تجربته الجمالية في قراءة الأدب بوصفه فنا جميلا. ومعنى هذا أن على أي دارس مقارن أن يكون على درجة سامية من الوعي بمفهوم "الأدب القومي" حتى يتمكن من قيامه بمهمته على النحو الأمثل. فالأدب القومي هو الأدب الخاص بجماعة بشرية تنضوي تحت راية هوية جمعية محددة، من مثل القوم أو الشعب أو الأمة، وينتج عادة بلغة هذه الجماعة التي ترى فيها لغة أما تجمع بين أفرادها وتوحدهم تحت رايتها باتخاذها أداة تفكير وتعبير وتواصل فيما بينهم. وهكذا يمكن الحديث عن الأدب العربي بوصفه أدبا خاصا بالعرب (ومن تبنى لغتهم من الشعوب المسلمة التي فتنت بلغة القرآن الكريم فتخلت عن لغاتها الأم واتخذت من اللغة العربية أداة لآدابها، منتجة أدبا أغنت به التقليد الأدبي العربي)، وبوصفهم أمة، (والعربية، على حد تعبير النبي العربي محمد صلى الله عليه وسلم، فيما ينسب إليه، ليست بالمرء يتحدر من أب وأم عربيين، وإنما العربية عربية اللسان فمن تكلم بالعربية فهو عربي)، تستعمل العربية أداة في إنتاجه ونشره وتدبره، كما يمكن الحديث عن الأدب الإيطالي بوصفه أدبا خاصا بالإيطاليين وبوصفهم شعبا يعيش ضمن حدود الجمهورية الإيطالية ويستعمل الإيطالية المتحدرة عن اللغة اللاتينية أداة لإنتاجه ونشره وتدبره، وكذلك يمكن الحديث عن الأدب الأرمني بوصفه أدبا خاصا بالإثنية الأرمنية التي تستعمل اللغة الأرمنية أداة تنتجه بها وتتدبره حفظا ودرسا ونشرا.[1]

لا وجود لأدب قومي إلا بواسطة اللغة، وليس هناك في مجال الثقافة وفروعها أمر أشد تأثيرا في الشعوب منها لأن عملها لا ينحصر في الفهم والإفهام، وإدراك أفكار الآخرين فقط بل يتجاوزه إلى

[1] د.عبد النبي اصطيف :مفهوم الأدب القومي، مجلة جامعة دمشق-المجلد34-العدد الأول-2018، ص11

ربط أفراد الشعب أو القوم بوحدة الآمال والأماني، ويلبس الأدب حلة قشيبة بواسطة اللغة التي نسميها قومية أو وطنية، رغم أننا قد لا نجد تطابقا تاما بين القوميات واللغات وقد نجد لغات قد انتشرت في بيئات غريبة عن مهدها، فهذه الإنكليزية والفرنسية والإسبانية تلاقي رواجا في بيئات بعيدة عن أوروبا، وقد نجد لغات قد تبنتها أكثر من قومية واحدة (الإنكليزية والفرنسية مثلا)، كما أننا نرى أن بعض الشعوب تستعمل لغتين أو ثلاثا أو أكثر (سويسرا مثلا). [1]

وهذه اللغة القومية التي تحدد مفهوم الأدب القومي قد تحثنا على تلمس ضيق مصطلحه فمن منا لا يشعر بميل للخروج من إطار أدبه القومي الضيقة ليجري في رحاب الأدب العالمي. ليس الأدب حكرا على شعب معين، وإننا نجد أدباء لامعين في كل قطر و في كل زمن، ولا يجوز لنا أن نعزف عن مطالعة الإنتاج الأدبي الأجنبي بحجة أننا لا نفهم اللغات التي كتب بها، وهناك أدباء فرضوا أنفسهم على العالم أجمع، ومن السخف أن نجهل آثار شكسبير وموليير وغوته ...الخ.[2]

إن اللغة التي تعطي القومية هويتها تزيل الأسباب التي تؤدي إلى سوء الفهم وسوء الظن، وتستبدلها بأحسن أنواع الصلات وأوطد الروابط، ولهذا قيل : الاشتراك في معرفة لغة طريق للحب والصداقة، ولن نذكر ما للترجمة من فضل على الذين يجهلون اللغات الأجنبية، ولن نحاول أن نبين أن عزلة أدب عن غيره لا تتم بشكل قاطع، وأن الأدب القومي لا يبعث سناء خاصا إلا في العصور التي يتم فيها تفاعله مع آداب أخرى، وهذا ما حدث للأدب القومي العربي في العصر العباسي.[3]

إن البحث المستفيض والمتعمق عن عناصر تكوين الأدب القومي قد تؤدي إلى تحديده و تفسير ظواهره تفسيرا علميا، وبالتالي إلى تصنيف العناصر الدخيلة عليه والتي تخالفه، وإلى نسبتها إلى أدب غريب صدرت عنه، فالدعوة إلى دراسة الأدب القومي تبث فينا شعورا غامضا بوجود آداب تخالف الأدب القومي وتناقض مبادئه ومقوماته.[4]

---

[1] ريمون طحان : الأدب المقارن و الأدب العام ، دار الكتاب اللبناني-بيروت ، ط1 ، سنة 1972 ، ص96 ،97

[2] المرجع نفسه ، ص97

[3] ينظر : المرجع نفسه ، ص98

[4] ينظر، ريمون طحان :الأدب المقارن و الأدب العام ، ص99

وقد يعيش القوم، أو الشعب، أو الأمة، أو الإثنية، ضمن حدود سياسية محددة كاليابانيين أو الدانماركيين، وقد ينتشرون على رقعة أوسع تشمل دولا عدة كالعرب على سبيل المثال، أو الهنود، أو الصينيين، الذين انتشروا بفعل عوامل عدة في شرق العالم وغربه وشماله وجنوبه، كما أن الحدود اللغوية لأدب قوم قد تُماثل تماما حدودَ دولتهم السياسية كسكان رومانيا أو سكان بلغاريا على سبيل المثال، وقد تتجاوزها لتدخل في حدود سياسية أخرى كما هي حال اللغة الألمانية التي امتدت إلى كل من النمسا وسويسرا، واللغة الفرنسية التي امتدت إلى سويسرا وكندا وبعض بلدان إفريقية وآسيا، واللغة الإيطالية التي امتدت إلى سويسرا، واللغة البرتغالية التي امتدت إلى البرازيل، واللغة الإسبانية التي تكاد تصبح اللغة الثالثة في العالم بتمددها إلى أمريكا اللاتينية وبلدان عدة في آسيا وإفريقية، ومعنى هذا أن هذا المصطلح يظل موضع مساءلة مستمرة تعود إلى منظور مستعمله من جانب وواقع انتشار لغة هذا الأدب من جانب ثان، وواقع انتشار منتجيه من جانب ثالث.[1]

أقسام الأدب القومي :

الأدب القومي ينقسم عادة إلى قسمين رئيسيين :

- أدب شعبي تنتجه شرائح اجتماعية معينة من الشعب بلغتها المحكية في الغالب التي تستعملها عادة في حياتها اليومية، تعبر به عن مشاغلها وهمومها واهتماماتها وآمالها وآلامها،وتتداول مشافهة ينتقل بينها من جيل إلى جيل، من غير أن يُلتَفَت إلى هوية منتجيه أو حقوق ملكيته الفكرية، ولكل أدب شعبي أشكاله وأجناسه الخاصة به، و يتمتع كل منها بخصائصه المتميزة.
- وأدب رسمي مدون تعنى به مؤسسات الدولة حفظاً ونشراً ودراسة وتدريساً بوصفه مكوناً من مكونات هوية مواطنيها، وبهدف الارتقاء بوعيهم بهذه الهوية وحفز عنايتهم بالحفاظ عليها، وتتميز أداة هذا الأدب بسُمُوها، وصقلها، وتفوقها على لغة العامة،ولهذا الأدب أجناسه وتقاليده وأعرافه ومعاييره وقيمه التي يلتزمها منتجوه للظفر بتقدير متلقيه ومؤسساتهم ومجتمعاتهم المختلفة.[2]

[1] د.عبد النبي اصطيف: مفهوم الأدب القومي، ص11، 12

[2] المرجع نفسه، ص12

كما ينضوي تحت راية هذا الأدب الأدب الذي يُنتَج للأطفال ونظيره الذي ينتج للفتيان، وأدب المرأة التي تنتجه المرأة أو الذي يتخذها موضوعا له، ويتميز كل من هذه الآداب بخصائص، ولكل منها أعرافه ومعاييره وقيمه مثلما له أجناسه الخاصة به.

ومما يسترعي انتباه المتابع لمفهوم "الأدب القومي" أنه بات يخضع لمساءلة شديدة في عصرنا هذا، عصر العولمة الذي نعيش فيه اليوم، عصر الترحال، والانتقال، اللذان يشملان البشر والبضائع ورؤوس الأموال والثقافات والآداب والفنون، بل كل شيئ متصل بالبشر.[1]

وفي حين كان دارسو الآداب وتواريخها يستعملون "وحدة اللغة القومية" أساساً في تصنيف الآداب منذ القرن التاسع عشر، وهو الذي شهد نهوض ما يسمى ب"الدولة القومية"، فإن استعمال هذه الوحدة في أيامنا هذه يبدو غير واقعي، ولا منطقي، بل ربما يربك الباحث أكثر مما يساعده على وضع الأطر المرجعية لبحوثه المتصلة بهذه الآداب.[2]

ظل مصطلح الأدب القومي يثير مناقشات مستفيضة في مضمار الأدب المقارن، مبعثها في الغالب مرتبط بوجود أدباء يكتبون بلغات متنوعة تحت مظلة "الأدب القومي" (كبعض الأدباء الجزائريين الذين يكتبون بالفرنسية من جهة، ووجود أدباء ينتمون إلى قوميات متنوعة يكتبون بلغة مشتركة واحدة كمعظم أدباء البلدان الناطقة بالانكليزية من جهة أخرى)، غير أن الاتجاه السائد يكاد يوجه دلالة المصطلح إلى تماهيها مع دلالة الانتماء القومي، بدلا من اعتبار التجلي اللغوي لذلك الانتماء أساسا في حساب الحدود بين الآداب تواكب انتشار مصطلح "الأدب القومي" بالرؤية السابقة مع بروز الأدب العالمي.[3]

[1] المرجع نفسه، ص12

[2] المرجع نفسه، ص12

[3] د. راتب سكر: القومية و العالمية في الأدب والثقافة، جريدة الأيام، الأربعاء23 أغسطس 2017

الفصل الأول: الأدب المقارن

المبحث الأول: مفهوم الأدب المقارن، النشأة والتطور.

المبحث الثاني: أهمية الأدب المقارن ومجالاته، وشروط المقارن.

المبحث الثالث: مدارس الأدب المقارن.

الأدب المقارن :

يعتبر الأدب المقارن من الدراسات الأدبية الحديثة التي نشأت في القرن التاسع عشر على يد الفرنسيين، ثم تطورت فاتسعت ميادينه وتنوعت مجالاته ليشمل الفنون الجميلة، والإبداعات الأخرى كالأجناس الأدبية والأغراض والأفكار والمواقف والمذاهب والتيارات والأساليب مع الألمانيين والأمريكيين.[1]

ويعرفه الدكتور محمد غنيمي هلال بأنه دراسة الأدب القومي في علاقاته التاريخية بغيره من الآداب الخارجية عن نطاق اللغة القومية التي كتب بها.[2]

أما فان تيغم فعرف الأدب المقارن بأنه دراسة آثار الآداب المختلفة من ناحية علاقاتها بعضها ببعض، به الآداب بعضها لبعض.[3]

وفرانسو جويار يرى بأنه تاريخ العلاقات الأدبية العالمية، فالباحث المقارن يقف عند الحدود اللغوية واليومية ويراقب مبادلات الموضوعات والفكر والكتب، والعواطف بين أدبيين أو عدة آداب.[4]

الأدب المقارن عند هنري باجو هو الفن المنهجي الذي يبحث في علاقات التشابه، والتقارب والتأثير، وتقريب الأدب من مجالات التعبير والمعرفة الأخرى، أو أيضا الوقائع والنصوص الأدبية فيما بينها، المتباعدة في الزمان والمكان أو المتقاربة، شرط أن تعود إلى لغات أو ثقافات مختلفة، تشكل جزءا من تراث واحد من أجل وصفها بصورة أفضل، وفهمها وتذوقها.

---

[1]– ينظر طه: ندا : الأدب المقارن ، دار النهضة العربية بيروت ، سنة 1987 م ، ص 20.

[2]– محمد غنيمي هلال : الأدب المقارن ، دار العودة ودار الثقافة بيروت لبنان ، 1981 ،ص 6.

[3]– بول فان تيغم : الأدب المقارن ، دار الفكر العربي القاهرة ، ص 92.

[4]- ماريوس فرانسو جويار : الأدب المقارن ، باريس ، ترجمة محمد غلاب ، بيروت ، سنة 1956 ، ص 5.

إشكالية المصطلح:

إذا كان المصطلح لفظا يعبر عن مفهوم، ويدل على اتفاق أصحاب تخصص ما على استخدامه للتعبير عن مفهوم علمي محدد، إنه «لفظ كلمة أو كلمات ذات دلالة علمية أو حضارية يتواضع عليها المشتغلون بتلك العلوم والفنون والمباحث»[1]بل هو أداة البحث ولغة التفاهم بين العلماء، وجزء من المنهج، إذ لا يستقيم منهج إلا إذا قام على مصطلحات دقيقة، تؤدي الحقائق العلمية أداء صحيحا، صادقا، وهو ثمرة العلم، يسير بسيره ويتوقف لوقوفه، وتاريخ العلوم-إلى حد ما- تاريخ لمصطلحاتها، فإن مصطلح الأدب المقارن مصطلح مشين، وضروري في الوقت نفسه[2]، وهو «مصطلح مشين لأنه غامض، و لكنه ضروري بسبب استخدامه منذ قرون، فهل يستطيع ترك المكان لمصطلح أقل تشويشا وغموضا؟ مع ذلك كل البدائل المقترحة طويلة جدا، أو مجردة كثيرا ولذلك لم تفرض نفسها»[3] لقد أخذ المصطلح حق المواطنة و لا يمكن التخلي عنه. كتب مارك بلوخ «إن انتشار اسم يعد دائما مؤشرا كبيرا حتى و أن كان الشيء قد تقدم».[4]

ولقد سبق ولادة الأدب المقارن إرهاصات أولية تجلت في وجود بعض ظواهره في الآداب القديمة المتمثلة في تحقيق ظاهرة التأثر والتأثير، ولكنه لم يكتمل علما قائما بذاته، له قواعده وأصوله وحدوده

[1] – الشريف الجرجاني: التعريفات، وضع حواشيه و فهارسه محمد باسل عيون السود، دار الكتاب العلمية، بيروت، لبنان، ط2،س2003م، ص32.

[2] – د.علي بوعزيزة: مطبوعة الأمالي (دروس في الأدب المقارن)، ص12.

[3] – بيير بروينل، كلود بيشوا، أندريه ميشيل روسو: ما الأدب المقارن؟ ترجمة غسان السيد، دار علاء الدين، ط1، 1997م، دمشق، ص15.

[4] – المرجع نفسه، ص16.

التي تفصل بينه وبين العلوم الأدبية المختلفة، و بخاصة تاريخ الأدب والنقد الأدبي إلا في أواخر القرن التاسع عشر الميلادي وأوائل القرن العشرين.[1]

ولعل «ما يبدو واضحا عندما ننظر إلى بدايات الأدب المقارن هو أن المصطلح سبق الموضوع، فلقد استخدم الناس تعبير الأدب المقارن قبل أن تكون لديهم فكرة واضحة عما يعنيه هذا المصطلح».[2]

فقد تضاربت الآراء حول الاصطلاحات وتعريفات الدرس المقارن وأخذت وقتا طويلا جعلت جون فليتشير يخلص إلى:«إن المقابلة العلمية وراء أصل مصطلح الأدب المقارن تفتقر إلى التوفيق، فمن شأنها أن تثير توقعات مغالية، ولقد أدى بالعلماء (وبعضهم من البارزين) أن يتصوروا إمكان صياغة مجموعة من الوقائع المحصلة تحصيلا نهائيا، يستطيعون إشهارها بفخر أثناء جدلهم مع النقاد المشككين، و لذلك لا يجد المعارضون أمثال ويليك أية صعوبة في أن ينهالوا على مثل هذا المصطلح بسخريتهم».[3]

نشأة الأدب المقارن:

من البديهي أن ظهور أي علم من العلوم تسبقه إرهاصات وعوامل، تكون ممهدة لظهوره أو سببا في نشأته أو في تطوره أو فيهما معا، فالأدب المقارن هو من هذه العلوم التي سبقت ظهورها العديد من الإرهاصات، وساهمت في نشأتها العديد من العوامل، ويمكن اعتبار الظواهر الأدبية العالمية والتي من أهمها ظاهرة التأثير والتأثر بين الآداب إحدى أهم تلك الظواهر التي أرهصت لظهور هذا العلم.

[1] – د.علي بوعزيزة: مطبوعة الأمالي (دروس في الأدب المقارن)، ص13.

[2] – سوزانباسنيت: الأدب المقارن مقدمة نقدية، ترجمة أميرة حسن نويرة، المجلس الأعلى للثقافة المشروع القومي للترجمة، سنة 1999م، ص26.

[3] – جون فليتشر: نقد المقارنة، ترجمة نجلاء الحديدي، مجلة فصول، ع3، 1983م، ص60.

ويمكن اعتبار أن أقدم ظاهرة في هذا المجال، أي: ظاهرة تأثير أدب في أدب آخر وأبرزها وأكثرها نتائجا وإنتاجا في القديم، هي كل ما حدث بين كل من الأدبين اليوناني والروماني من تأثير وتأثر، والتي يقول المؤرخون أن بدايتها كانت في عام 146 قبل الميلاد.[1]

النشأة وأسبابها :

تعود نشأة الأدب إلى القرن التاسع عشر ميلادي، ويرى العديد من الدارسين أنه بالرغم من المحاولات المقارنة العديدة بين الآداب في السابق إلا أن ملامح هذا العلم بمدلولاته الحالية (الحديثة) لم تظهر إلا في سنة 1829 في فرنسا ، وذلك حين بدأ المقارني الفرنسي آبيل فيلمان الذي كان أول من استخدم مصطلح "الأدب المقارن" وإليه يعود وضع الأسس الأولى لهذا الفرع المعرفي الأدبي، يقوم بإلقاء محاضرات في جامعة السربون حول علاقات الأدب الفرنسي والأدب الإنجليزي، وتأثير الأدب الفرنسي في إيطاليا في القرن الثامن عشر، وكان هدفه من وراء ذلك تقديم صورة عن ما تلقته الروح الفرنسية من الآداب الأجنبية، وما أعطته لها من أجل كتابة تاريخ أدب شامل لفرنسا.[2]

يرجع بعض الباحثين في الدراسات الأدبية المقارنة وتاريخها بوادر نشأة الأدب المقارن إلى القرن التاسع ميلادي وهناك من يرجعها إلى تواريخ سابقة، وغيرها إلى تواريخ لاحقة، ولكن المنطق يقتضي منا أن لا نقف كثيرا عند هذه الاختلافات، والواقع أننا لو أخذنا نبحث عن بداءات كل علم من خلال التلميحات الغامضة القديمة له لوجدنا أن جميع العلوم قديمة جدا لأن أصولها المبدئية موجودة في التجربة الإنسانية والحاجة الإنسانية إلى العلم، ولكن ما نحن بصدده الآن هو تتبع النشأة الأولى للأدب المقارن بوصفه علما حديثا.[3]

---

[1]- حسام خطيب ، 1982 ، ج1 ، ص 21.

[2]- أنظر ،كلود بيشوا ، أندرية ، م روسو: الأدب المقارن ، ترجمة : د. أحمد عبد العزيز ، ط 3، مكتبة الأنجلو المصرية ، القاهرة، جمهورية مصر العربية ، 2001 ص 35.

[3]- المرجع نفسه ، ص 94.

ويرى الدكتور غنيمي هلال أن الأدب المقارن قد نشأ في القارة الأوربية، حيث اكتمل مفهومه، وتشبعت أنواع البحث فيه وصارت له أهمية بين علوم الأدب لا تقل عن أهمية النقد الحديث، بل أصبحت نتائج بحوثه عماد الأدب والنقد معا .[1]

ويرجع الكثيرون سبب نشأة الأدب المقارن في القارة الأروبية، وفي القرن التاسع عشر بالتحديد إلى الدراسات المتعددة في مجال المقارنة بين الآداب الأروبية ودراسة العلاقات المتبادلة فيما بينهما التي ظهرت في القرن الثامن عشر والتي كانت بمثابة إرهاصات لظهوره، والتي يعود سببها هي كذلك إلى عدة عوامل نذكر منها على سبيل المثال:

1/ ظهور مناداة لرؤية عالمية في مجال الثقافة والأدب عند البعض المفكرين الأروبيين أمثال فولتير، روسو، ديدرو، غوته، وظهور اعتقاد بأن الآداب الأوروبية هي حصيلة تفاعلات مشتركة عميقة، وأن الإبداع الأدبي هو تجربة مشتركة غير مقصورة على أدب دون آخر.

2/تطور الاتجاه الرومانسي في الأدب وطرحه لتصور يقضي بكون الأدب هو اتجاه إنساني شامل يعني بالتجربة الإنسانية أينما كانت، ويتجاوز حدود الأمم واللغات.

3/ اتساع الأفق الأدبي عند الكثير من الباحثين نتيجة لازدياد الصلات الثقافية بين الشعوب الأوروبية وإطلاعهم ومعرفتهم بأدب بعضهم البعض، أما عن طريق الترجمات أو عن طريق المعرفة المباشرة للغات الأجنبية.

4/ المطالبة الملحة للعديد من الباحثين الأدبيين وعلى رأسهم الفرنسي ادغار كينيه بضرورة إيجاد علم أدبي مقارن.[2]

[1]- محمد غنيمي هلال: الأدب المقارن، ص20.

[2]- المرجع نفسه ، ص 91 – 92.

أما الأسباب التي أدت لظهور الأدب المقارن في فرنسا قبل غيرها من الدول الأوروبية الأخرى فيرجع حسب أغلب الدارسين لعدة عوامل كانت مواتية في تلك الفترة في فرنسا، منها الثقافية، والاجتماعية، والسياسية، والتي من أهمها:

أولا: أن المناخ الثقافي الفرنسي كان مستعدا منذ العصر الكلاسيكي لممارسة البحث الأدبي المعمق في تلك الفترة لاسيما بعد أن تعاقب على فرنسا حكام إهتموا بالعلم والثقافة وعملوا على جعل فرنسا مركز إشعاع ثقافي في أوروبا .

ثانيا: تنبه الفرنسيين قبل غيرهم من الأوروبيين إلى قيمة التراث المشترك بينهم وبين المناطق الأوروبية الأخرى، مما كان سببا في نشأة أساس فكرة الأدب المقارن .

ثالثا: الرغبة الشديدة للفرنسيين في استرجاع مكانة فرنسا الثقافية الماضيية، من خلال بسط السيطرة الثقافية على المستعمرات الفرنسية في البلدان الإفريقية .[1]

أهمية الأدب المقارن :

ليس ثمة أدب وقفا على أمة دون أخرى إذ لا مكان لمفهوم الاحتكار ولا مجال للتعصب والافتخار، فكل أمة قادرة على الخلق والابتكار، وكل لغة جديرة بأن تقدم إبداعا فنيا تعجز أن تعطيه أمة أخرى، فتقتبس منه باقي الأمم وتحاكيه.

وإذا كان علم الأدب المقارن يهدم بدراسة الأدب القومي في علاقاته التاريخية بغيره من الآداب، كيف اتصل بها هذا الأدب وكيف أثر كل منهما في الآخر في الألفاظ والموضوعات في الصور والتعبير، في العواطف والأحاسيس السارية من أديب إلى أديب حول موضوع إنساني واحد. فإن لهذه الدراسات أهمية بالغة تتمثل فيما يلي:

[1]- المرجع نفسه ، ص 93.

أولا: إثراء الأدب القومي من خلال الاطلاع على آداب أجنبية والنهل من منابع ومن موارد أخرى في الآداب العالمية والقضاء على نزعة الاعتداد بالنفس والتعصب للغة والأدب القومي .

ثانيا: يساعد على التمييز بين ماهو أصيل وما هو أجنبي دخيل من تيارات الفكر والثقافة لا لنقاط أصداء أديب وتمييز تيار خفي.

ثالثا: يتيح لنا الأدب معرفة الإنسان في الإنسان كما يقول دوستويفسكي، وعبر هذه المعرفة يبرز لنا الجواهر المشتركة للإنسان، عندئذ ننطلق إلى عالم الأخوة، الأخوة التي تجمع الأنا بالآخر[1].

ويزيد في التفاهم والتقارب بين الشعوب والأمم لمعرفة عاداتها وطرائف تفكيرها، وآمالها الوطنية وآلامها القومية وتبادل المنفعة بينها بالحوار والأخذ والعطاء، والتأثير والتأثر.

رابعا: الحوار يمكن للأدب المقارن أن يمثل جسرا للحوار بين الثقافات المختلفة من خلال إيجاد مواطن التأثير والتأثر بين النصوص الإبداعية لتلك الثقافات، وتشخيص نقاط الاختلاف والائتلاف بين الأنظمة الثقافية والأدبية المختلفة.

خامسا: يعطي دفعا جديدا لتطور وازدهار علوم أخرى، كالنقد الأدبي الحديث وتاريخ الأدب والترجمة.

سادسا: تحقيق التكافؤ الثقافي من خلال ردم الهوة بين الثقافات المتباينة، ورفع الغبن التاريخي الذي لحق ببعض الثقافات، وخلق حالة من التوازن والتكافؤ بين الآداب والثقافات المختلفة.

[1]– ماجدة حمود: مقاربات تطبيقية في الأدب المقارن، دراسة منشورات اتحاد كتاب العرب، دمشق، سوريا، ص5.

مجالات البحث في الأدب المقارن:

مجالات البحث في الأدب المقارن عديدة أهمها الأبحاث اللغوية ودراسة الأجناس الأدبية والموضوعات والأساطير وتأثير أديب في أدب آخر والمصادر والتيارات الفكرية والمذاهب الأدبية وعلم الصورة[1].

وفي الحقيقة مجالات البحث في القرن العشرين، هي كثيرة و متنوعة بل هي أوسع وأشد تنوعا بسبب دخول الأمريكيين في الساحة المقارنة وتوسعهم الشديد في مفهوم الأدب المقارن وانفتاحهم على مختلف النزعات التقليدية والفنية والمعرفية، وفي السطور التالية نجد أبرز المحاور الجديدة هي:

1/دراسة التماثل والتحالف المتجاوزة لحدود اللغوية أو الجغرافية أو المعرفية.

2/مقارنة الآداب الفنون المختلفة وبالعلوم والعلوم الإنسانية.

3/الدراسات الترجمية: ويعتبرها دعاتها اليوم حقلا معرفيا مستقلا عن الأدب المقارن، ويعطونها أهمية تفوق أهمية الأدب المقارن.

4/ دراسات التناص، جمع النصوص أم كانت سابقة أم معاصرة حاضرة في الوعي أو اللاوعي الفردي أو الاجتماعي.

ودراسات التناص تكاد تحل محل دراسات التأثير والتأثر التقليدية تقريبا، وكذلك ظهور مواضيع مستحدثة كتاريخ التعليم (تأثيره في تشكيل الفكر العلمي والأدبي)، ونظرية القراءة والدراسات الاستعمارية (التي تبحث في العلاقات الثقافية بين الغرب بوصفه مستعمرا وما يقع خارج الغرب من دول، وقعت طائلة الاستعمار مع ما تتضمنه تلك الدراسات من تحليل للنصوص الأدبية).

[1]- مجالات البحث (نظري مادي ..... ريحانة منصوري)، ص 139.

وكذلك قضية عولمة الثقافة والأدب والتطورات الأدبية الناتجة عن تفشي الثقافية التكنولوجية وثورة الوسائل الاتصال والكتابة الحاسوبية والإنترنيت[1] كل هذه الموضوعات تشمل في مجالات البحث الأدب المقارن في عصرنا الحاضر.

شروط المقارن وعدته:

ثمة شروط مسبقة على الباحث إتمامها مهما كانت اتجاهات أبحاثه وهذه كما قال بول فان تييغم: حاجته إلى عدة ويعني هذا يستوفي الشروط التالية:[2]

أولا: أن يتزود بثقافة تاريخية واسعة، تعينه على فهم الأحداث وتطورها والعلاقات الإنسانية بين الشعوب في مظاهرها وتطورها كالوقوف على سير الأبطال، ودراسة النماذج الأدبية المعروفة عن كل شعب أو أدب ففي الأدب العربي مثلا: عنترة في الشجاعة، وحاتم الطائي في الكرم، ومجنون ليلى في الحب، وفي الأدب الألماني فاوست، وفي الأدب الإسباني جون جوان .

ثانيا: أن يطلع الباحث على أكبر عدد ممكن من الآداب الأجنبية ليتسنى له أن يحدد نوعية الصلات والعلاقات التي تقوم بين أدبين أو أكثر، فيلزمه التعرف الأثار الأدبية الكبرى في العالم كالإلياذة والأوديسة والكوميديا الإلهية، ورسالة الغفران والشاه ناما ومسرحيات شكسبير وغيرها.

ثالثا: أن يعرف عددا كبيرا من اللغات معرفة تسهل عليه مهمة المقارنة فيطالع نصوص الآداب المعلقة بأبحاثه في لغاتها الأصلية أفضل من الاعتماد على الترجمة التي كثيرا ما تذهب بوروج النص لاسيما الشعري.

[1]- نظري مادي، ريحانة منصور ص 139، (مجالات البحث).

[2]- زبير دراجي: محاضرات في الأدب المقارن.

رابعا: أن يستفيد من الرحلات والأسفار فيتصل بالشعوب لإدراك المزاج الشخصي لكل الشعب والتعرف على العادات والميولات التي تتحكم في تفكير أي شعب واتجاهه، فكتب الرحلات مهمة في الإحاطة بأقوال الشعوب والوقوف على ما لديها من تقاليد وآداب.

خامسا: أن يكون عالما بطرق البحث وأن يختار لنفسه اتجاها معينا وطريقة ملائمة تعتمد استعمال البطاقات والاستقصاء في البحث والتحلي بالأناة وطرح الفرضيات وتدعيم الاستنتاج بالحجج ونبذ الأحكام المسبقة والتقريبية، والحذر من التعميمات الواهية ودرء الالتباس.

سادسا: أن يلم بالمصادر العامة التي تساعد على الوقوف على كل ما كتب ماضيا وحاضرا في الموضوع الذي ينوي معالجته، وقد خصص كلود بيشوا وأندريه ميشال في كتابهما الأدب المقارن قائمة مطولة من أهم الفهارس والمراجع والدوريات والكتب ودواصر المعارف وقواميس الأدب والتراجم والمصطلحات الأدبية والتي تختص بالأدب المقارن ودراساته في كثير من دول العالم [1].

وفي الأخير ينبغي على المقارن أن يكون مؤرخا، هاويا لجمال، عاشقا للشعر والمسرح، يطالع مدفوعا بلذة وجدانية محللا، ناقدا عالما إنسانيا، أي أن يكون دائرة معرفة، وموسوعة علمية.

[1]– كلود بيشوا وأندريه ميشال روسو: الأدب المقارن ص 206.

مدارس الأدب المقارن:

المدرسة الفرنسية:

تعتبر المدرسة الفرنسية التقليدية هي أول اتجاه ظهر في الأدب المقارن، وكان ذلك في أوائل القرن التاسع عشر واستمرت سيطرتها كاتجاه وحيد في الأدب المقارن إلى غاية أواسط القرن العشرين أي قرابة القرن من الزمان تقريبا [1]حيث ظهرت اتجاهات أخرى نازعتها هذا التفرد.

وللعلم فقد قامت هذه المدرسة على المنهج التاريخي، ولذلك تسمى بالمدرسة التاريخية، ويعرف فرانسوا غوريار أحد أهم أعلامها الأدب المقارن علما أنه: تاريخ العلاقات الأدبية الدولية أو هو: العلم الذي يؤرخ للعلاقات الخارجية بين الآداب[2] وتقوم دراستها على استقصاء ظواهر عملية التأثير والتأثر بين الآداب القومية المختلفة ورصد الظروف الخارجية التي تحيط بكل من الأديب أو بالعمل الأدبي سواء التاريخية أو السياسية أو الاجتماعية أو الاقتصادية أو الفكرية أو الروحية التي تسهم في حدوث ذلك التأثير.

ولقد وضعت هذه المدرسة شروطا صارمة للدراسة المقارنة، فلكي تدخل أي دراسة من الدراسات تحت مجال الأدب المقارن لابد من توافر الشروط الآتية:

أولا: أن تكون الدراسة بين أدبيين أو أكثر، ولا تكون إلى في مجال الأدب، أي أن الدراسة التي تقبل كدراسة تدخل تحت مجال الأدب المقارن، هي تلك التي تقارن بين الأعمال الأدبية فقط، فتكون بين عملين أدبيين أو أكثر، بشرط توافر الاختلاف في القومية بين هذه الآداب، ومعيار القومية عند هذه المدرسة هو: اللغة فلا يجوز المقارنة بين عملين أدبيين كتبا بلغة واحدة مهما كان الاختلاف العرقي أو الجغرافي أو أي اختلاف آخر، لأن هذه المدرسة تعتبر أنهما من قومية واحدة والمقارنة بينهما هي من

[1]- ماريوس فرانسو اغويار: الأدب المقارن، ترجمة: هنري زغيب، ط 2، منشورات عويدات لبنان 1988، ص 15.

[2]- محمد غنيمي هلال: الأدب المقارن، ص 25.

قبيل الموازنة ومجالها هو: النقد الأدبي، وليس الأدب المقارن، وبناء على هذا فلا يجوز حسب هذه المدرسة أن نقارن بين عمل أدبي لغو ستاف فلوبير أوغي دوموباسان الفرنسيين مع عمل أدبي كتب باللغة الفرنسية لمحمد ديب أو كاتب ياسين أو مالك حداد أو آسيا جبار أو غير هم من الكتاب الجزائريين الذين يكتبون باللغة الفرنسية لأنهم من القومية نفسها أي الفرنسية.

ثانيا: أن يتوفر الرابط التاريخي بين العملين الأدبيين، بمعنى أن عملية المقارنة في إطار الأدب المقارن لا تكون إلا بين عملين أدبيين أو أكثر تثبت تاريخيا أن أحدهما قد تأثر بالآخر، فلا يجوز حسب هذا المفهوم مقارنة الأعمال الأدبية حتى وأن كانت تنتسب لقوميات مختلفة وكتب بلغات مختلفة وكانت متشابهة ما لم يتوفر الرابط التاريخي بينهما، الذي يعد الأهم والجوهري ولا تتم الدراسة في إطار الأدب المقارن إلا بتوفره.

ثالثا: أن يكون المؤثر أدبا موجبا والمتأثر أدبا سالبا: إن المدرسة الفرنسية التقليدية قسمت آداب وثقافات العالم إلى قسمين، قسم موجب وقسم سالب، وربطت عملية التأثير والتأثر بحالة الاستعمار وعلاقة الدول المستعمرة بالدول المستعمرة، فترى أن آداب وثقافة الدول المستعمرة هي الضعيفة، وبالتالي هي المؤثرة دائما لأنها هي القوية وهي التي تمثل الحضارة، أما باقي ثقافات آداب العالم الأخرى، وخصوصا العربية والإفريقية فهي تأثر فقط باعتبارها ضعيفة ولا تملك ما تقدمه للآداب القومية الأخرى.[1]

إن من يمعن النظر في الأسس والشروط التي وضعتها المدرسة الفرنسية التقليدية لدراسة المقارنة يلمس بكل وضوح طغيان وتقدم البعد الإيديولوجي فيها عن البعد الأكاديمي العلمي، وربطها بعملية الاستعمار، أي: (ثقافة و أدب الدول المستعمرة موجبة، وثقافة وأدب الدول المستعمرة سالبة)، وجعل الآداب والثقافات الأوروبية. وطبعا على رأسها الثقافة والأدب الفرنسي، هي الموجبة باعتبارها المستعمرة

[1]- عبده عبود: الأدب المقارن، مشكلات وآفاق، منشورات اتحاد كتاب العرب، 1999،ص31،32.

المالكة للأدب الراقي والناقلة للحضارة والثقافات والآداب العربية والإفريقية والأسيوية هي السالبة لأنها ثقافة وآداب الدول التي ترزح تحت الاستعمار ولا تملك ما تقدمه للآداب القومية الأخرى، وكذلك ما يتعلق يربط القومية بعنصر اللغة فقط وإهمال كل العناصر الأساسية والجوهرية الأخرى المشكلة للقومية التي تعتبر أكثر أهمية من عنصر اللغة، ليس له مبرر ولم يبين على أي أساس علمي وإنما بني على أساس إيديولوجي تحت الغرض الأساس منه هو ترسيخ الاستعمار الفكري الأوروبي عموما والفرنسي خصوصا، وكذلك خدمة النزعة المركزية الأوروبية وهي تلك النزعة الإيديولوجية التوسعية المتعالية، التي تخدم مساعي الهيمنة الثقافية الأوروبية والتي شكلت مكونا هاما من مكونات العقلية الاستعمارية الأوروبية في تلك الحقبة التي نشأت فيها المدرسة الفرنسية التقليدية[1] هذا الأساس والطرح غير العلمي (الأيديولوجية) بالذات هو الذي عرض، وفي رأيي هذه المدرسة للانتقادات الكثيرة من الفرنسيين أنفسهم قبل غيرهم والذين كان على رأسهم المقارني الفرنسي (رينيه إيتامبل) الذي رفض وانتقد بشدة هذه الأسس والمبادئ التي قامت عليها المدرسة الفرنسية التقليدية، وهو ذات السبب الذي جعل جيلا جديدا من المقارنين الفرنسيين ينشقون عن تلك الأفكار التي تبنتها هذه المدرسة ويبتعدون عن تلك المبادئ والأسس الأيديولوجية التي قامت عليها أمثال: برونيل، وبيشوا، وروسو.

المدرسة الأمريكية:

لم تلتفت الولايات المتحدة الأمريكية إلى الأدب المقارن إلا في الثلث الأخير في القرن التاسع عشر[2]، ويمكن القول أن إرهاصات ظهور الاتجاه الأمريكي في الأدب المقارن، أو ما يسمى بالمدرسة الأمريكية يعود سنة 1958، حين ألقى الناقد الأمريكي (رينيه ويلك) محاضرات التاريخية بعنوان أزمة الأدب المقارن في المؤتمر الثاني للرابطة الدولية للأدب المقارن الذي انعقد في (جامعة تشابل هيل) الأمريكية،

[1]- المرجع نفسه ص33، 50.

[2]- حسام خطيب: آفاق الأدب المقارن عربيا وعالميا، ط2، دار الفكر، دمشق، 1999 ص 108.

والتي وجه من خلالها نقدا لا مثيل له في حدته للمدرسة الفرنسية التقليدية في الأدب المقارن محاولات من خلاله نصف كل أسسها ومرتكزاتها[1].

ويمكن القول أن أهم ما ميز اتجاه المدرسة الأمريكية في الأدب المقارن، هو رفضها لكل ما جاءت به المدرسة الفرنسية التقليدية، نظريا كان أو تطبيقيا وجعلت للأدب المقارن مفهوما جديدا ودعت إلى أسس جديدة تحكم الدراسة المقارنة، تتمثل في:

1/ضرورة دراسة الظاهرة الأدبية في شموليتها دون مراعاة للحواجز السياسية واللسانية حيث يتعلق الأمر بدراسة التاريخ و الأعمال الأدبية من وجهة نظر دولية .

2/ الدعوة إلى جعل الدراسات المقارنة تدرس العلاقات القائمة بين الأدب من ناحية وبين مجالات المعرفة الأخرى، كالفنون والفلسفة، و التاريخ، والعلوم الاجتماعية...الخ[2] .

3/الدعوة إلى تطبيق منهج نقدي في الأدب المقارن، والتخلي عن المنهج القائم على حصر ما تنطوي عليه الأعمال الأدبية من مؤثرات أجنبية، وما مارسته على الأعمال الأدبية الأجنبية من تأثير.

أهم الانتقادات التي وجهتها المدرسة الأمريكية للمدرسة الفرنسية التقليدية هي:

1-تقسيم المدرسة الفرنسية التقليدية لآداب وثقافات العالم إلى موجبة، وأخرى سالبة واعتبار أن آداب العالم كلها، إما منبثقة عن، أو منصبة في بحر الآداب الأوروبية.

2-افتقاد المدرسة الفرنسية التقليدية لتحديد موضوع الأدب المقارن، ومناهجه بدقة.

3-تغليب العناصر القومية على العمل الأدبي في الدراسة المقارنة.

[1]- عبده عبود: الأدب المقارن، مشكلات وآفاق ، ص47.

[3]- حيدر محمود غيلان: الأدب المقارن ودور الأنساق الثقافية، مجلة دراسات يمنية العدد 80، مارس 2006، صنعاء، ص23،28.

4- المبالغة في إثبات عملية التأثير والتأثر.

5-النظر إلى الأدب كجزء من معركة الحصول على مزايا ثقافية، أو سلعة من سلع التجارة الخارجية.[1]

*فشل الدرس المقارن في وضع ضوابط لمبحثية موضوعاتيه خاصة به وفي استحداث منهجيه بحث مميزة بعيدة عن التاريخية والفلسفة الوضعية.

قال رينيه ويليك:« إن مناهج الفرنسيين المحدثين قد فشلت في تحديد المهمة الأساسية للأدب فقد أثقلوا الأدب المقارن بمنهجيه عفا عليها الزمن ووضعوا عليه أحمال القرن التاسع عشر المبيتة من ولع بالحقائق والعلوم وبالنسبة للتاريخية فالأدب لا تعنيه هذه الحقائق بل يعنيه الخصائص والقيم والأعمال الأدبية آثار وليست وثائق ».[2]

المدرسة السلفية:

يعتبر الاتجاه الروسي أو السلفي أو ما يسمى بالمدرسة الروسية أو السلافية، والتي ظهرت في روسيا وبلدان أوروبا الشرقية الاشتراكية، إحدى المدارس المهمة في الأدب المقارن، وهي مدرسة مبنية على أساس إيديولوجي.

كونها مدرسة ولدت من رحم المدرسة الماركسية، وهي تلك الفلسفة المادية الديالكتية التاريخية الأيديولوجية، التي ترفض بشدة الفلسفة الوضعية وتعتبرها فلسفة بورجوازية وتملك نظرة شمولية للكون والمجتمع كله، وللثقافة والأدب وتؤمن بأن هناك علاقة جدلية بين القاعدة المادية أو البناء التحتي للمجتمع، و بين البناء الفوقي الذي يشكل الثقافة والأدب أهم مكوناته. وفي نظرتها إلى العلاقة بين البناء التحتي والبناء الفوقي الذي تشكل الثقافة والأدب أهم مكوناته، وفي نظرتها إلى العلاقة بين البناء التحتي و الفوقي، أي بين المجتمع والثقافة، ترجع النظرة الماركسية كفة الطرف الأول، أي البناء التحتي

[1]- رنيه ووليك: مفاهيم نقدية، ترجمة محمد عصفور، عالم المعرفة 110، الكويت 1987م، ص 297 – 308.

[2]- المرجع نفسه، ص 297.

والمجتمع، وترى فيه الطرف الرئيس في المعادلة الجدلية. فالوجود المادي يحدد الوعي الاجتماعي، والبناء التحتي يتحكم في البناء الفوقي، أي في الثقافة و الأدب، ويوجه مسارهما.[1]

فالمدرسة الروسية أو السلفية في الأدب المقارن المبنية على هذه الفلسفة هي مدرسة لها نسق ثقافي يختلف عن مفاهيم المدرستين السابقتين، الفرنسية والأمريكية في مفهومهما للأدب المقارن، وكذلك فالميادين التي تدخل في مجاله، فبالرغم من أن هذه الأخيرة تلتقي مع المدرسة الفرنسية في نزوح إلى استخدام المنهج التاريخي لإثبات عملية التأثير والتأثر بين الآداب بمعزل عن القوانين المتحكمة في تطوره، بينما الماركسيون يستخدمون المنهج التاريخي لإثبات دور المجتمع والصراع الطبقي في تشكيل الأدب وظهور أجناسه فإذا تشابهت عندهم الظروف الاجتماعية إلى ظهور أدب متشابه.

ومن هنا أصبحت الدراسات الأدبية المقارنة موجهة كغيرها من المجالات المعرفية لإثبات مدى تحكم الظروف الاجتماعية، وتأثيرها.[2]

ويمكن القول بأن أهم ما نادت إليه هذه المدرسة، من خلال رصد أفكار ونظريات منظر بها فيما يتعلق بالدراسات المقارنة يتجلى في الآتي:

1/ضرورة الاهتمام بالصراع الطبقي والصراع الإيديولوجي باعتباره المؤثر الأكبر في عملية استقبال أي مجتمع من المجتمعات للموضوعات الأجنبية.

2/الدعوة إلى دراسة التشابهات والاختلافات النمطية والابتعاد عن تقاليد المدرسة الفرنسية في مفهومها التأثير والتأثر.

3/ربط الثقافي والتاريخي والجمالي بنظام روحي لكل شعب، وعدم إهمال الفروق القومية بين الثقافات والنظر إليها بكل موضوعية.

[1]- عبده عبود: الأدب المقارن مشكلات وآفاق، ص 40.

[2]- حيدر محمد غيلان: الأدب المقارن ودور الأنساق الثقافية، ص93.

4/تجنب الأحكام المسبقة على أي ثقافة إلا بعد دراسة تطوراتها وعلاقاتها بغيرها من الثقافات في تطورها التاريخي.

5/ضرورة ربط المقارنة الأدبية بالمكون الاجتماعي للأدب.

ومن خلال استقصاء البذور التاريخية لهذه المدرسة، ورصد ملابسات التاريخية والسياسية والفكرية لظهورها، ابتداء من موقف الرفض التام لعلم الأدب المقارن من طرف أوروبا الشرقية عامة والروس خاصة ومنعه أصلا في روسيا طوال المرحلتين باعتباره حسب الأيديولوجية الروسية آلية برجوازية من

آليات الاستعمار الثقافي الرأسمالي،[1] إلى الانتقادات التي وجهها بعض الدارسون الروس للعديد من المؤتمرات والندوات العالمية للأدب المقارن كالمؤتمر الخاص الذي انعقد في موسكو سنة 1960، الذي اتهمت بعض أعماله من طرفهم بأنها ذات نزعة عالمية جاهلة بالعناصر التاريخية والاجتماعية في الأدب ومعادية للآداب القومية، وخادمة للإمبريالية الأمريكية، وكذلك الانتقادات والاتهامات نفسها التي وجهت لندوت بودابيست سنة 1962.[2]

[1]- حيدر خضري: التجربة السلافية والدرس المقارن للأدب، العدد10، السنة 2008، ص 22.

[2]- المرجع نفسه، ص22.

الفصل الثاني:الأدب العام

المبحث الأول: مشكلة المصطلح، وحقل اختصاصه.

المبحث الثاني: مجالات الأدب العام ومناهجه.

المبحث الثالث: الإرهاصات الأولى للأدب العام.

الأدب العام:

يعتبر "الأدب العام" كمد للأدب المقارن، فالعلاقات القائمة بين هذين النوعين من الدراسات الأدبية وثيقة، حتى أنه يصعب إقامة حدود فاصلة بينهما، ويستحيل غالبا الكلام من الأدب العام دون إثارة موضوع الأدب المقارن.[1]

فالأدب المقارن يتضمن حدين أحدهما وطني، وثانيهما أجنبي، وأنه يتتبع حركة التأثر والتأثير الحاصلة بين أدبين عادة أو بين أكثر في بعض الأحيان، لا شك في أن الأدب العام يستثمر مكتسبات الأدب المقارن، و يضيفها إلى نظراته الشاملة، وهو يتخطى الحواجز التي تقيمها الآداب الوطنية، وهو يأبى أن يلخص ما ورد في ثنايا الآداب العالمية لئلا يوصم بالسطحية، ولذا هو يهتم بالحركات العالمية وبالتيارات الإنسانية الأدبية، ليشيد صرحا مجيدا للفكر البشري الخلاق والمبدع، وليبني هيكلا تقام فيه الطقوس لكافة الشعراء والأدباء بصرف النظر عن عرقهم وجنسهم ولغتهم القومية.[2]

إن مصطلح" الأدب العام" يعني في الأصل نظرية الأدب ومبادئه، أو ما كان يعرف سابقا بالشعرية ويكون مثل هذا البحث في الغالب متجاوزا للحدود القومية والإقليمية، بل لا يعنى إلا بالأفكار والأنماط الأدبية التي استطاعت أن تتجاوز المحلية إلى الآفاق العالمية الأوسع. وهذا بالضبط هو ما دفع بول فان تييغم إلى اعتبار مفهوم الأدب العام مناقضا لمفهوم الأدب المقارن. إذ إن منطقة الأدب العام عنده هي العالم على رحبه وعلى تجاوزه للحدود في حين أن منطقة الأدب المقارن هي العلاقة بين أدب وآخر، أي العلاقة من خلال طرفيها المحليين.

والحقيقة أن تفريق فان تييغم بين "الأدب العام" و"الأدب المقارن" بدا أحيانا أقرب إلى الشكلية والرقمية، فالأدب المقارن إثنيني، في حين أن الأدب العام يتجاوز الإثنين.[3]

إن الأدب المقارن بمفهومه الأوسع يشمل ما يدعوه فان تييغم الأدب العام. غير أن فان تييغم يحصر الأدب المقارن في العلاقات الثنائية، أي في عنصرين، بينما ينسحب "الأدب العام" على البحث في

[1]- ريمون طحان: الأدب المقارن والأدب العام، ص91 .

[2]- المرجع نفسه، ص101 .

[3]- حسام الخطيب: آفاق الأدب المقارن عربيا وعالميا، ص28 .

الحقائق المشتركة بين آداب عدة، لكن يمكننا أن نرد على ذلك بقولنا إن من المستحيل رسم الخط الفاصل بين الأدب المقارن والأدب العام.[1]

لفظة الأدب العام قد احتبسها بول فان تيغم على مفهوم ضيق في مقابل لفظة "أدب مقارن"، الأدب العام طبقا لتيغم يدرس تلك الحركات والبدع الأدبية التي تتجاوز الخطوط القومية، غير أنه يصعب في التطبيق أن نحدد مسبقا أي حركات ستكون عامة، ومن ثم أن نضع خطا فاصلا بين ما هو قومي محض وما هو عام.[2]

مشكلة المصطلح:

إن مصطلح" الأدب العام "يرد في اللغة الإنكليزية عند جيمس مونتغومري مثلا الذي ألف محاضرات حول الأدب العام، حيث يعني اصطلاح "الأدب العام" ما ندعوه "نظرية الأدب" أو "مبادئ النقد الأدبي".[3]

يعود مصطلح " الأدب العام" إلى مطلع القرن التاسع عشر، ففي عام 1817 نشر نيبوميسين ليمريسييه محاضراته تحت عنوان:« دروس تحليلية في الأدب العام »، وكان موضوعها عاما، اهتم فيها بالأجناس الأدبية وتطورها، ورسم لوحة شاملة أرخ فيها لأكثر الآداب العالمية شهرة، ولم يكن هو ولا الذين استخدموا المصطلح من بعده يعرفون أنهم يؤسسون علما جديدا، أو أن ما يقومون به يعود إلى الأدب المقارن .[4]

وكان الألمان أسبق من غيرهم في هذا المجال، فنشر الألماني هرمان هتنر أن الوقت حان لكتابة تاريخ الآداب العالمية، ثم وضع مؤلفا في «تاريخ آداب القرن الثامن عشر في انكلترا و فرنسا و ألمانيا». ونشره خلال أعوام 1856- 1876.كما قام الدانمركي براندس بدراسة التيارات الأدبية العالمية وتفاعلها في

[1]- رينيه ويليك: مفاهيم نقدية، ص260 .

[2] - رينيه ويليك، أوستن وارن: نظرية الأدب، دار المريخ للنشر، الرياض، المملكة العربية السعودية، 1992م، ص71 .

[3]- رينيه ويليك: مفاهيم نقدية، ص258.

[4]- الدكتور الطاهر أحمد مكي: الأدب المقارن أصوله وتطوره ومناهجه، دار المعارف، القاهرة، ط1، 1987م، ص614.

أوربا، و عُنوَن مؤلفه «كبرى تيارات الأدب الأوربي في القرن التاسع عشر »، ونشره خلال أعوام 1872 – 1890 م.[1]

وكان لأبحاث المفكر الفرنسي الكبير بول هازار أهميتها بالنسبة للأدب العام، وهي خير شاهد على ثقافته الواسعة ونشاطه العقلي، ويهمنا من دراساته المستفيضة والمتعددة مؤلفه «أزمة الفكر الأوروبي في القرن الثامن عشر» نشر عام 1926، وبما أن هذه الدراسة تطلعنا على مختلف نواحي هذه الأزمة الروحية التي عمت كل أنحاء أوروبا يميل دارسو "الأدب العام "إلى تصنيفها مع أبحاثهم.[2]

وهكذا بفضل جهود هؤلاء العلماء أخذ الأدب العام يتبلور كعلم يختلف بعض الشيء عن الأدب المقارن،كما أن الدراسات المقارنة اتخذت في الولايات المتحدة الأمريكية شكلا خاصا، واختلط مفهومها بالأدب العام في مطلع القرن العشرين إذ أخذت جامعاتها تدرس روائع الآداب العالمية مع لمحة خاطفة سريعة عن تاريخ الأدب العام وقد أطلق على هذه المادة التدريسية الجامعية اسم ولم يعرف هذا النوع من الدراسات الرواج في الجامعات الأوروبية التي وصفته بأنه سطحي وتافه ولكن العالم القديم احتفظ بالمصطلح لتحديد بعض الدراسات المقارنة الأكثر شمولا واتساعا من سواها.[3]

وقد استخدم مصطلح "الأدب العام" لوسم المقررات والمنشورات المعينة بالآداب الأجنبية من خلال التجربة الإنجليزية، أو بشكل أوسع لوسم تلك الكتابات التي يصعب أن تصنف تحت أي عنوان من عناوين الدراسات الأدبية، و يبدو أن لها عند الدارسين أهمية تتجاوز الأدب القومي، وهي أحيانا تشير إلى الاتجاهات الأدبية، أو المشكلات، أو النظريات ذات الاهتمام العام، أو الجماليات. وأن مجموعات النصوص والدراسات النقدية أو التعليقات التي تتناول عدة آداب قد صنفت ضمن هذا النوع ومثالها العديد من المجموعات.[4]

[1]- الدكتور الطاهر أحمد مكي: الأدب المقارن أصوله وتطوره ومناهجه، ص615.

[2]- المرجع نفسه، ص615 .

[3]- ينظر، ريمون طحان: الأدب المقارن والأدب العام، ص94 .

[4]- سعيد علوش: مدارس الأدب المقارن، المركز الثقافي العربي، ط1، 1987، ص111 .

حقل اختصاص الأدب العام:

تكونت حقول الأدب العام أما بفعل انسلاخ بعض حقول الأدب المقارن التي فارقت أصلها والتحقت بالأدب العام، وأما بفعل تقدم العلوم الأدبية والإنسانية التي سعت في توسيع ميدانها واستكمال شروط نموها، ونذكر من الحقول المنسلخة عن الأدب المقارن، الدراسات التي تتعدى حدود العلاقات الثنائية لتعالج حركات فكر مجموعة بلدان أو القارة كلها، وتياراتها العاطفية وظواهرها الأدبية، والدراسات التي تعالج الأحداث الأدبية،كالأبحاث التي تدور حول الفنون الأدبية والأجناس والأشكال والمواضيع، ونذكر من الحقول التي تكونت حديثا ميادين ثلاثة هي: تاريخ الأدب العام، فلسفة الأدب العام، الأدب والفنون الجميلة.[1]

إن الأدب العام يعنى خاصة بدراسة ما هو جوهري في الإنتاج الأدبي، أو ما يسمى مضمون الأدب وقد يعنى بدراسة الشكل وبالقوالب العامة فمن مواضيع اهتمامه وسائل العرض الفنية، الترسل في الحضارة الشرقية أو في الحضارة العالمية، وكيف أن هذا الفن أصبح صناعة محضة تهتم أحيانا بالمبنى أكثر من أن تهتم بالمعنى وخاصة في صور البدء والختام.[2]

ومن اهتمامه بالمضمون نشأت مشكلات احتدم الخلاف حولها بين علماء الأدب المقارن وعلماء الأدب العام منها مشكلة المواضيع، وقد رأت فئة ثانية أنها من اختصاصات الأدب المقارن، كما أن فئة ثالثة أدخلتها في مواضيع اختصاص الأدب العام.[3]

يقول ريمون طحان:«إن هذا الحقل مباح لدارسي الأدب المقارن ودارسي الأدب العام، شريطة أن نتعرف على نوعية الدراسة ومداها واتساعها، فالقبلة في الأدبين الفرنسي والإنكليزي هي من مواضيع الأدب المقارن، أما القبلة في الآداب الأوروبية أو العالمية فهي من مواضيع الأدب العام، وقد أثار (تروسو) مشكلة الأبطال والنماذج البشرية وصنفها مع المواضيع»وهنا أيضا يقول: «أن موضوع برومتاوس وانتقاله

[1]- ريمون طحان: الأدب المقارن والأدب العام، ص102 .

[2]- المرجع نفسه، ص107 .

[3]- ينظر، المرجع نفسه، ص107،108 .

إلى الأدب الفرنسي هو من مواضيع الأدب المقارن، أما موضوع هؤلاء الجبابرة الذين تحدوا الآلهة وسرقوا النار حبا بالبشر، أمثال برومتاوس اليوناني و لوكي الجرماني، فقد يكون من مواضيع الأدب العام.». [1]

وخلاصة القول: كلما تجاوزنا العلاقات الثنائية، و كلما انتقلنا من الخاص إلى العام عبرنا حدود الأدب القومي والأدب المقارن ودخلنا في حقل الأدب العام".

1. حقل تاريخ الأدب العام:

يهتم تاريخ الأدب العام بآداب الأمم وروائعها وبتصنيفها تصنيفا تاريخيا وبنقد الإنتاج الأدبي العالمي وبتحليل أحداثه البارزة.

لم يعرف الأقدميون تاريخ الأدب العام، ولكنهم كانوا يجمعون مع تراجم الشعراء و الكُتاب بعض الشواهد أو بعض أقوال المؤلفين ويبينون محاسنها ومساوئها، ولم تكن مجامعهم تؤلف صورة عامة للأدب القومي في عصر واحد أو أكثر، ولم يكن التعليل فيها مطردا، فكان عملهم ينقصه الترتيب والتصنيف والتعليل.[2]

«تاريخ الأدب العام أو بالاختصار، بالأدب العام، نطاقا من الأبحاث يتناول الأحداث المشتركة بين عدة آداب، إما في علاقاتها المتبادلة وإما في مطابقتها. والأدب العام يختلف عن مختلف الآداب القومية، وعن الأدب المقارن ..

وإن أبحاثه، لما كانت هنا لا تتعلق بدراسات الآداب دراسة جمالية أو نفسية مجردة عن تطورها التاريخي، ولما كانت تتخذ كذلك وجهة النظر العالمية الواسعة إلى حد بعيد ..كان بإمكانها أن تدرس المواضيع المحددة خلال الفترات القصيرة».[3]

وعلى الرغم من الاختلاف بدا لبول فان تييغم أن الأدب العام تتمة طبيعية للأدب المقارن، وفي حالات أخرى نجده يقرر أن تعبير "تاريخ الأدب العالمي هو الأفضل"من تعبير الأدب العام، على أنه

[1]- المرجع نفسه، ص108 .

[2]- المرجع نفسه، ص109 .

[3]- بول فان تييجم: الأدب المقارن، ص146 .

بمعنى من المعاني، يمكن أن تبحث مثلا نظرية الأنواع الأدبية والمذاهب المختلفة كالرومنتية والرمزية والواقعية تحت عنوان "الأدب العام"، وهذا بالطبع يقربه من الأدب المقارن.

وربما كان مصطلح الأدب العام يزداد اليوم غموضا، وبالتالي يختفي تدريجيا من القاموس البحثي، وإن كانت الجامعات التقليدية تربط بينه و بين الأدب المقارن في تقسيماتها المعرفية والتنظيمية. فهناك أقسام كثيرة في الجامعات الغربية تحمل اسم مشترك هو: (قسم الأدب العام والمقارن)، وهناك منشورات جامعية كثيرة تحمل الاسم المشترك نفسه، وإن كان المضمون عادة مشحونا بالأدب المقارن.[1]

ومن المعلوم أن التاريخ الأدبي أو تاريخ الأدب بمعناه الحديث عرفه الإيطاليون والفرنسيون ثم انتشرت طرقه في كل أنحاء العالم، وقد تبناها تاريخ الأدب العام وأدخل عليها بعض التعديلات، فتاريخ الأدب العام هو وصف آداب الأمم في مختلف عصورها وترتيبها وتعليلها وبيان أطوارها مع ما اعتراها من قوة وضعف ورقي وانحطاط، وربط أحداثها بعضها ببعض اللاحق بالسابق والحاضر بالماضي، وإظهار التيارات العامة التي تداخلت وتفاعلت في إنتاج مختلف الأمم والشعوب، وقد ظهرت الآن تواريخ الأدب العام وكثرت في الأسواق نذكر منها مؤلفا وضع باللغة العربية: أحمد أمين وزكي نجيب محمود، قصة الأدب في العالم، القاهرة، 1943، 1948.[2]

2. فلسفة الأدب العام:

إن فلسفة ظاهرة أدبية واحدة في أدب قومي معين من المسائل الصعبة بحد ذاتها وقد يكون من المحال دراسة ظواهر الأدب العام، ولا يستطيع الباحث المبتدئ أن يقوم بأعمال كهذه التي تأتي نتيجة لنضوج في التفكير و دراية في النقد والأدب، وقد طبق البعض فيها مبادئ علم الاجتماع، وبحثوا في ظاهرة الأدب، وفي تأثرها بالعوامل الاجتماعية وفي تطورها بتطور المجتمعات من حالة قبلية إلى حالة مدنية، ومن مجتمع إقطاعي طبقي إلى مجتمع بورجوازي ... قد طبق فيها البعض الآخر الفلسفة، وطرحوا مشكلة العلاقة القائمة بين الأدب العام والفكر والفلسفة وعالجوا مواضيع ماهية الأدب والرمزية

[1]- ينظر، حسام الخطيب: آفاق الأدب المقارن عربيا و عالميا، ص28 .

[2]- ريمون طحان: الأدب المقارن والأدب العام، ص110.

والوجودية والاشتراكية والإلتزام، ولم يتقفوا أثرها في أدب واحد فحسب، بل تابعوه في كل أوروبا أو في كل المعمورة. وقد طبق فيها بعض دارسي الأدب العام مبادئ العلوم الحديثة.[1]

3. الأدب العام و الفنون الجميلة:

الأدب الجميل القومي والعام فن يسعى كسائر الفنون في تمثيل الأشياء المرئية والمفاهيم المجردة بشكل رائع، فكما أن العلوم تطلب الحقيقة معتمدة العقل التفكيري، وكما أن الصناعات تطلب النافع معتمدة العقل العملي كذلك، ومنه الأدب الجميل يلتمس الجمال معتمدا جميع القوى البشرية فإن الجمال الفني يسيطر على العقل والشعور والمخيلة معا.

ومما لا شك فيه أن الأدب العام مدعو إلى دراسة العلاقات والوشائج التي تربط الأدب بمختلف الفنون الجميلة، وهذا برنامج واسع صعب التحقيق حتى في الأدب القومي الواحد، وهو يتطلب من الباحث عدا المعلومات اللغوية والأدبية معلومات إضافية شبه موسوعية في الثقافة والفنون الجميلة والحضارات.[2]

مجالات الأدب العام:

يمكن القول إجمالا إن الأدب العام يدرس الظواهر الأدبية الجماعية، سواء كانت عامة تغطي كل العالم المتحضر، أم محددة تغطي جانبا منه، وهذه الظواهر ترد تحت بابين هما:

- التيارات العالمية المتنقلة.
- الاتجاهات المشتركة التي تحدث في عصر معين دون أن نضع يدنا بدءا على تأثير ما.

ونعني بالتيارات العالمية المتنقلة تلك التي تصدر عن مرسل ما، كأن يكون كاتبا، أو كتابا، أو مجموعة من الكتب، ثم تتسرب في اتجاهات مختلفة أو في بلاد أجنبية عديدة، فيلاحقها الأدب العام إلى كل مكان تسربت إليه، و يمسك بأثرها عند أكبر عدد من الكُتاب من المتأثرين بها.

[1]- ريمون طحان: الأدب المقارن والأدب العام، ص110،111 .

[2]- المرجع نفسه، ص112،115 .

مثلا: أشاع الروائي والقصاص الإيطالي المعاصر ألبرتو مورافيا، بعد الحرب العالمية الثانية بخاصة، لونا من الأدب حمل اسم « الواقعية الجديدة »، وهو اتجاه يختلف عن الواقعية الطبيعية أو الواقعية الاشتراكية، وانتقل عنه إلى آداب عديدة وفيه، وعند الذين تابعوه، يُعرَى سلوك البشر من غلالات النفاق والتخفي، يحاولون أن يستروا بها فعالهم، وأبدع أدب ما يمكن أن نسميه « أدب الحياة بلا حياء ».

والجانب الثاني، وأعني به الاتجاهات المشتركة التي تلتقي بها في أكثر من مكان، وهي خارجة عن نطاق الأدب المقارن في مفهومه الفرنسي الكلاسيكي، ومهمة الأدب العام أن يجمع هذه المشابهات وأن يصنفها ويفسرها، ويردها إلى أسبابها. ويضربون لها المثل بظهور الشاعر جونجرة في إسبانيا، وماريتو في إيطاليا، وليلى في إنجلترا. فقد أوجد هؤلاء الثلاثة في وقت واحد نوعا من الأسلوب المتكلف، المثقل بالزخارف، والاستعارات البعيدة رغم عدم الاتصال بينهم، وإذن فهو لا يرجع إلى تأثيرات عالمية بقدر ما يرجع إلى علل اجتماعية وميول أدبية مشتركة وليدة لها.

وينبغي أن نميز بين جانبين من الأدب العام: الأبحاث التحقيقية التي تكتشف وقائع أو علاقات مجهولة، وتستخرج نتائجها وتعرض ما تنتهي إليه، وبين بناء التاريخ الأدبي العالمي الذي يلخص هذه النتائج ويرتبها، ويمكن أن يكون في مجال التعليم بخاصة تحضيرا عاما لدراسة التاريخ، ويصبح لوحات لها قيمة في ذاتها، ولها جمالها الخاص.[1]

من بين التيارات التي يقف عندها الأدب العام « روح العصر » على ما فيها من إبهام، فهو روح يهيمن على عدة بلاد مجاورة، ويدفع كُتاب منطقة معينة إلى التشابه أو التقارب، في إبداعها، وتغلب عليهم سمة الأسرة الواحدة، ويتشبعون بهواء الزمن حولهم، وتفرض على الكُتاب مناخا معينا، فكتاب القرن الثامن عشر في أوربا ينضحون حنانا مفرطا يتجلى عند تومسون، و ريتشارد سون، وستيرن من الإنجليز، وعند روسو وديديدرو بخاصة من الفرنسيين، وفي ألمانيا عند ليسينج بعد أن تغلب على روحه الناقدة، ونجدها في شيوع السجع بين الكُتاب المسلمين في القرن الثامن الهجري، وغلبة نظم العلوم عند شعرائه، مما أصبح ظاهرة إسلامية، وما من شك أن التأثيرات الفردية عملت دورها في حركة الحنان الأوربية، وحتى في شيوع الظاهرة الإسلامية، ولكن روح العصر هي المسؤولة عن بروز الظاهرة كتيار

[1] - ينظر، الدكتور الطاهر أحمد مكي: الأدب المقارن أصوله وتطوره ومناهجه، ص620،619،618.

عام، أخذ شكل حركة واسعة، حملت اسم الحنان المفرط. والظاهرة الإسلامية، وتركت صداها في حركات النقد المختلفة.[1]

مناهج الأدب العام:

من مناهج الأدب العام: الاستقصاء، وهو تحديد المسألة التي يراد درسها، بأن نختار تيارا أدبيا واحدا، كأن ندرس تيار الموشحات الذي اجتاح الآداب الأوربية في القرنين الثاني عشر والثالث عشر الميلاديين، وعلينا حينئذ أن نميز ما أصاب الشكل وما أصاب المضمون، وما ترتب عليه في طريقة التغزل وموقف الشاعر من المرأة، وحين يكون التأثير متعددا ومتنوعا علينا أن نقف عند واحد فحسب، وكلما زاد تحديد المسألة المراد درسها زاد الأمل في الوصول إلى نتائج قيمة.

وبعد أن نحدد المسألة المراد درسها نحدد الفترة التي سوف يتناولها البحث، وتجيء نقطة البدء غالبا في ضوء تحديد الموضوع، ويصعب أحيانا تحديدها كما هو الحال في تأثير الموشحات في الشعر الأوربي، وعلى هذا التعيين تتوقف قيمة النتائج التي يصل إليها الباحث إلى حد كبير. وأما نقطة الوصول فإنها لا تفرض نفسها دائما بوضوح، لأن التيارات الأدبية العالمية بعد أن تخصب جانبا من الحقل الأدبي، الشعر أو المسرح أو الرواية، تسقيه وتنميه ثم تضيع في صحراء الإهمال، أو تصب في تيارات أخرى أدنى إلى الشباب منها وأقوى، فالروايات التي شاعت على طراز «آلام فرتر » لم ينقطع تيارها فجأة، وإنما انحرف إلى الرواية الشخصية العاطفية، التي تطرح في الغالب مسألة أخلاقية، على نحو ما حدث في ألمانيا وفرنسا في السنوات الأولى من القرن التاسع عشر، كما أننا إذا تساءلنا أين ينتهي تاريخ الروايات التاريخية التي نسجت في الأدب العربي على غرار والترسكوت، ومتأثرة به.

فإذا فرغنا من هذين السؤالين، مؤقتا في البدء على الأقل، يبدأ الاستقصاء، ويجب أن يتناول أكبر عدد ممكن من النصوص والوقائع، وأن يمتد إلى أوسع ساحة ممكنة من الآداب، والمعقول أن تكون هذه القراءات محدودة بقدرة الباحث اللغوية، ومن هنا كثيرا ما يكون مجال البحث ضيقا، وقد يقنع بطائفة من الآداب المتجاورة، أو التي خضعت لتأثيرات واحدة، أو مرت بها التيارات نفسها، فيكتفي مثلا

[1]- المرجع نفسه، ص623،624 .

بدراسة تأثير شكل الموشحات في الآداب: الإسباني والبرتغالي ...، وكلها عاشت في الأندلس، عايشت الأدب العربي حينا، ثم ورثته من بعد .[1]

كان من الضروري أن يقوم الاستقصاء على أساس استقراء دقيق، فيرجع الباحث إلى التواريخ المفصلة لمختلف العصور أو الحركات الأدبية، وإلى أبحاث الأدب المقارن التي تكون نقطة الانطلاق، وأن يقرأ الكتب التي تدرس المؤلفين الذين يعنيهم أمرهم، وبخاصة مؤلفي الطبقة الثانية أو الثالثة، فقد تهديه إلى أبحاث خصبة، ولم يعد تاريخ الأدب القومي أو المقارن يحتقرهم، أو يغفل شأنهم، وهم على أية حال يكتسبون في الأدب العام شأنا خاصا إذ أن بعضهم تعهد، أو حتى أوجد اتجاهات في الأدب، وصورا في الفن، أثرت في كبار الكتاب، وبعضهم لم يحدث تأثيرا يذكر، ولكنه خضع لضعفه لمؤثرات أجنبية خضوعا لا نلحظه في الكاتب الأصيل أو العبقري الفذ، ومن ثم يتجلى لنا بطريقة أوضح وأقرب مدى التأثيرات الأجنبية في كتاباتهم، وتكون شاهدا على التيارات الأدبية السائدة في عصرهم، وبقدر ما نلقى من الشواهد في مختلف الآداب تتضح لنا الظاهرة التي ندرسها، وتبرز لنا طبيعتها الداخلية، إذ ليس في وسعك أن تقرر وجود تأثير عالمي اعتمادا على اسمين أو ثلاثة من كبار الشعراء أو الكتاب.[2]

[1]- المرجع نفسه، ص629،630 .

[2]- المرجع نفسه، ص630 .

الإرهاصات الأولى للأدب العام :

يحاول "الأدب العام" إحصاء وتفسير أمهات الأعمال، التي تكون تراث الإنسانية، حيث يتكون هذا الأدب من الأعمال المتميزة بصداها، والنجاح التي تحرزه دوليا، وكذا بطابع الاستمرارية التي تمثلها، حيث لا تصبح ميزة خاصة في عبقرية الكاتب، بل بأصالة عالميته. فالعالمية من هنا هي هدف الأدب العام، بكل تقنياته الإحصائية والتأويلية لنجاح وصدى الأعمال الأدبية.[1]

« حين نعالج مباحث الأدب العام، نجد أنفسنا بإزاء مسائل لا تطرح على نفس النحو في تاريخ الأدب القومي أو في الأدب المقارن، بعضها يتناول المسائل التي ينبغي دراستها، وبعضها الآخر يتناول المناهج التي ينبغي اتباعها، سواء في البحث نفسه أو في عرض نتائج هذا البحث »[2]

وهذا التمييز بين الآداب: (القومية والمقارنة والعامة)، يخالف تماما الفهم الحالي: الذي يدمج بين المقارن والعام، لخضوعه للإدراك الذي كونه الجيل الأول عن هذا التمييز، وهو شيء طبيعي نشدد عليه لكي نوضح فيما بعد ما طرأ على المفاهيم من تطورات تخلصت فيها من آثار الوضعي والتاريخي إلى حد بعيد، لذلك كانت معالجات الفترة تقوم على تجميع الإرهاصات الأولية.[3]

« إن الأدب العام ليزيدنا معرفة لهذه الإنسانية، وفهما لها، وإدراكا لعموميتها الحقيقية. قال ديرك كوستر: " إن الآداب الكبرى يكمل بعضها بعضا، ولكي ترسم صورة كاملة للإنسان يجب أن يقتبس كل منها ما يعوزه من الآخر ". حين لا ندرس إلا أدبا أو أدبين، لا نستطيع أن نتصور عدد ما هنالك من جوانب إنسانية وعواطف إنسانية، لم يعبر عنها هذا الأدب أو هذان الأدبان، أو لم يعبر عنها على نحو كامل تام. إن قراءة كتابات عصر واحد بلغات عدة، لهو درس في علم النفس: يطلعنا على زوايا من الإنسان مظلمة أو مجهولة، ويطلعنا على وجوه من الفن وفيرة غزيرة، إن امتزاج التأثيرات والتقاليد على اختلاف النفوس وتفاوت الأجناس، يفجر صفات روحية، ظلت إلى ذلك كامنة مستترة. وهذا النحو من تاريخ الأدب، يزيدنا معرفة بأنفسنا، وينمي ويغني فكرتنا عن الروح الإنسانية». [4]

---

[1]- سعيد علوش: مدارس الأدب المقارن، ص32.

[2]- فان تييجم: الأدب المقارن، ص189.

[3]- سعيد علوش: مدارس الأدب المقارن، ص32.

[4]- فان تييجم: الأدب المقارن، ص217 .

والحق أن الأدب العام عند بول فان تييجم، يعتبر شيئا آخر يخالف كليا ما عليه اليوم، لأن العوامل الاجتماعية القوية، والتي ولدت الأفكار المحركة للقرون السابقة عليه، قد أعطت هذا الأخير القوة على ضم واجتياح كل شيء، إذ لم يسبق للأفكار والمفاهيم أن كانت أكثر انتشارا، مما أصبحت عليه في قرن فان تييجم، الذي أصبح الإنسان ولأول مرة، يظهر فيها بكل سماته الميتافيزيقية والابستمولوجية الثابتة.[1]

وكان علينا أن ننتظر ظهور نظرية الأدب لروني ويليك، حتى نصحح العديد من المعطيات، ونكيفها مع مقتضيات العصر وشكل الحضارة، التي يرتبط بها الأدب، وكذا الاختيارات السياسية والدينية والميتافيزيقية للجماعات، التي يعارضها أو يتبناها الباحث المقارن، ومن هذا المنظور، جاءت مناقشة روني ويليك، لفان تييجم حيث:

« تمثل صيغة "الأدب العام"، التي تفضل على "أدب العالم"، موانع أخرى، فهي تدل في الأصل على شاعرية أو نظرية ومبادئ الأدب، وقد حاول بول فان تييجم في العقود الأخيرة أن يخص بها استعمالا خاصا، يعارض به "الأدب المقارن"، ويدرس "الأدب العام"من منظور التيارات والأنماط الأدبية، التي تتعالى على الحدود الوطنية، بينما يدرس "الأدب المقارن" العلاقات التي توحد أدبين أو آداب متعددة، إلا أنه كيف نحدد الأوسيانية مثلا، هل تدخل في "الأدب العام" أم في "الأدب المقارن"؟ فلا يمكننا في هذه الحالة، التمييز بين تأثير والتر سكوت خارج انجلترا، وبين الموجة الدولية للرواية التاريخية، من ثمة يغطي الأدب "المقارن" والأدب "العام" بعضهما البعض دون أن يستطيعا تجنب ذلك.

وكيفما كانت الصعوبات التي تثيرها فكرة تاريخ أدب عالمي، فمن الأساسي إدراك الأدب ككل، ونعيد بناء مصير وتطور الأدب، دون اعتبار التمايزات اللسانية. فالحجة البالغة، التي تخدم الأدب "المقارن" أو "العام"، أو "الأدب" وحده، تقوم على الطابع الخاطئ لفكرة أدب وطني منغلق على نفسه».[2]

وهكذا يموضع روني ويليك، إشكالية الأدب العام وتاريخه في إطار تطور المعرفة الإنسانية للقرن السابق على قرننا، والذي ترك بصماته على الأدب، كما على باقي المعارك الأخرى، كما يشدد على

[1]- سعيد علوش: مدارس الأدب المقارن، ص38 .

[2]- المرجع نفسه، ص38،39 .

الأعمال، التي استطاعت أن تخلص الأدبي من قبضة الوضعية، كعملي ارنست روبرت كيرتيس وإريك أورباخ.[1]

ولا يخامرنا الشك، في أن مقال روني ايتيامبل، في الموسوعة العالمية، حول تعريف الأدب العالمي، قد استفاد بقدر كبير من الملاحظات الثاقبة لروني ويليك، مما يكشف عن التعديلات الجوهرية، التي مست أحد رواد الجيل الثالث من المدرسة الفرنسية، ولاسيما أنه يرسم معالم الأدب العالمي، في موسوعية تطلق على نفسها « الموسوعة العالمية »، حيث يرى روني إيتيامبل أن:

« الأدب العالمي لا يدرك إلا في شكل تاريخ عالمي، بينما يستخلص الأدب العام، من التاريخ العالمي للآداب مجموعة محددة من الإدراكات والثوابت / "تتمثل في الرومانسيين / الكلاسيكيين / الباروك / البلاغة ..." أي إما من نظرية الأنواع: فيما يخص مثلا العناصر المشتركة في المسرح الفرعوني، والتراجيديا الاغريقية، وخفايا العصر الفرنسي الوسيط، وهكذا نرى الأدب العام يتميز عن الأدب العالمي، في شكل مجهود تركيبي بالنسبة للتحليل، إلا أنه لا وجود لتطابق بين الأداب العالمية / العامة / المقارنة. وتشكل الدراسة المقارنة للآداب الوطنية، في مجموعها ما يسمح بإقامة أدب عام، ونظرية عامة للأدب. وهكذا يسمح المنهج المقارن بالمرور من دراسة تحليلية لكل أدب، إلى الدراسة التركيبية للأدب عامة ... ».[2]

ويعتبر تعريف روني ايتيامبل، طفرة كبيرة في مجال الدرس المقارن، حيث يستطيع هذا الأخير رسم معالم ذات أبعاد إنسانية لا تتقيد بقارات وحضارات معينة، بل تذهب إلى حد بعيد من الجرأة المنهجية، في تجاوز المفاهيم الضيقة للتعريفات، من هنا يرى جون فليتشر عدم مرادفة الأدب المقارن للأدب العالمي، كما يوضح دونالد ديفي الفرق بين الاثنين، عندما يحذرنا من اكتساب معرفة سطحية، بعدد صغير من الكُتاب الأجانب من خلال ترجمة غير محققة لأعمالهم، وهو ما يقع في الغالب، حين يتخذ هذا العدد الصغير من الكُتاب الأجانب نموذجا للأدب المغاير، لا عينة منه.

وإذا سلمنا بأن مهمة الأدب العام هي تغطية مشاكل علم الجمال الأدبي ونظرياته، يصبح منحى الأدب المقارن – من ثم – الاندماج في الأدب العام، وقد تقودنا الدراسة المستفيضة لأدب قومي ما،

[1]- سعيد علوش: مدارس الأدب المقارن، ص40 .

[2] المرجع نفسه، ص40،41 .

إلى الأدب العام ما دام المقارن يتساءل باستمرار عن شكل الحضارة التي يرتبط بها الأدب، وهل هي مدنية أو قروية، لارتباط أشكال أدبية خاصة بكل نمط من هذه الأنماط، ما دام هذا الاختلاف هو ما يحدد مثلا إفراز الشعر الغزلي، ورواية العادات والخرافات، على اعتبار أنها أحداث وانعكاسات، لأن للمقارنين من الأدوات ما يفيد موجهيهم في الطريق.

من ثم يصبح تداخل الاختصاصات، قمينا بإبراز مجموع التقاليد والاستلهامات، التي تضفي الشرعية على الأدب العام.

أما عند م. ف. غويار، فالدلالة الخاصة للأدب العام، تكمن بالضبط في تطبيقه على الدراسات الأدبية المقارنة.[1]

وللإلمام بدلالة اصطلاح " الأدب العام " من السهل معارضته بالتعبير الشائع لـ "الأدب الوطني"، فالأدب العام يصل بين مختلف الآداب الوطنية، ويفتح الجسور بين الأدب والفنون الجميلة.

كما يحيل "الأدب العام" على أبحاث ذات طابع نظري، إذ يعرف الأنواع / البنيات / التيارات، دون إحالة مباشرة على العنصر الزمني، ويكمل "الأدب العام" "تاريخ الأدب العام" الذي يهتم بالتسجيلية، واصفا المذاهب / التطورات / بحث الأصول / تقييم التأثيرات.

كما يمكن تمييز التسمية التقنية التي يستعملها الناشرون، فاستعمالهم لـ"الأدب العام"، ويستهدف معنى آخر: أي كل ما يدخل في إطار محدد وخاص من الأعمال، التي لا تحيل على العلم / الدين / الفنون / التاريخ / الرحلات، وهي من ثم أدب محض أو نقد أدبي.

وبهذا يرتفع "الأدب العام" فوق كل الحدود و وجهات النظر الوطنية، وهو ينجز تراكيبه منطلقا من عنصر دولي في حد ذاته، أي من تيم أو نمط أو نوع أو تيار، ويمكن القول بأن "الأدب المقارن"، إلى 1830، وهذا لا يعني القطيعة بين المقارن والعام، بقدر ما يعني تكون أدوات نظرية للمقارن، تمكنه من معاينة العام والعالمي، من منظور شامل.[2]

[1] - المرجع نفسه، ص41.

[2] - المرجع نفسه، ص41،42.

وهذه الأهمية التي تمنح لتحليل الأدب العام، في إطار الأدب المقارن، لا تعني منحه تمييزا خاصا ظن على حساب دروس أخرى، بقدر ما يعني إعادة الاعتبار إلى طرح مفاهيم في إطار تطور منهجي ومعرفي، وهو بذلك إعادة لترتيب الأوراق، التي أهملت لسبب أو لآخر طوال فترة من تاريخ الأدب العام والعالمي.

من هنا يحاول الأدب العام تنظيم وتنسيق مجموعة من الظواهر الأدبية، في جوهرها الدلالي بأكثر مما يصنع ذلك في مادتها. ويميز الأدب العام، من هنا – بجوهره لا بمادته – عن مجرد التاريخ الأدبي. كما يقوم تكوينه عبر عمليات واسعة من التصفيات والإضافات، عاملا على الإلمام بمقاييس وكثافة الظواهر المرتبة، مكتشفا ومتتبعا الخطوط القوية للحياة ذاتها (...).

ويضيف الأدب العام المواد المقارنة الخالصة، و"التشابهات"البسيطة، التي تعود إلى"الأسباب المشتركة"، التي يعطيها فان تييجم اعتبارها المستحق (...)، حيث تبرز كتل من العلاقات، والتقاطعات، والتداخلات، والصدف، والتوافقات المختلفة، والتدقيقات من نفس الأرضية الإنسانية ...[1]

وهذا التنظيم والتنسيق الذي يتوخاه الأدب العام يستجيب لتطلعات تحقيق عدالة في القيم الأدبية، التي تغمط من أدوار آداب، على حساب آداب، تمتلك قوة مادية تدعمها في بلوغ المدى الواسع، بفعل عوامل خارج–أدبية، تعتمد على فقد التوازن، وعلى ذلك تقوم موضعة الأدب العام، عند هنري ريماك، حين يسجل:

« لقد كان مصطلح الأدب العام، ولا يزال مستعملا لأجل دراسات ومنشورات تهتم بالأدب الأجنبي، في الترجمة إلى اللغة الانجليزية، أو بأكثر توسعية لمقدمات (...)، والتي تتلاءم داخل رفوف أرشيفية إدارية، ولا يهتم بها إلا الطلبة خارج الأدب الوطني، وأحيانا يشير الأدب العالمي إلى التيارات الأدبية، أي المشاكل والنظريات ذات الاهتمام العام، وذات الصلة بعلم الجمال. ويفشل "الأدب العام" كالأدب

[1] - سعيد علوش، مدارس الأدب المقارن، ص42.

العالمي في تسطير طريقة لمدخل المقارنة، مع أن باستطاعة الأدب العام، بدروسه ومنشوراته، تزويد دراسات الأدب المقارن بالقواعد الممتازة، والتي ليست في حد ذاتها مقارنة ».[1]

وترتبط ظاهرة الأدب العام، التي تعالج اليوم بطلاقة مدهشة ومثيرة، استمرارية القديم في الحديث، مع العلم أن تأثير الأعمال القديمة الكبرى، يكتشف بطرق شتى، هي عامة غير مباشرة وغامضة، وهي من ثمة ذات خصوبة أكثر. ففي حقل التاريخ تقوم هذه العناصر القديمة بالرغم، أو بسبب تغير وجوهها الرائعة عبر الحقب والبلدان، بدور علم للاكتشاف يسمح بقياس المسافات عبر مختلف العصور، وفي كل بلد، بالنسبة لنقط ثابتة مقارنا نتائج نفس النمط ليشمل أكثر من مظهر أدبي.[2]

[1] - المرجع نفسه، ص42،43.

[2] - ينظر، سعيد علوش: مدارس الأدب المقارن، ص43.

الأدب العام و الأدب القومي :

لا يزال مفهوم الأدب العام غامضا بالنسبة للمفهوم الدقيق الذي نطلقه على الآداب القومية أو الوطنية، وقد لا يتم تحديد الأدب العام إلا بواسطة تحديد الأدب القومي، فنقول إن الأدب العام هو كل أدب لم يكتب بلغتنا القومية، وقد لا نعثر حتى من خلال تعريفنا هذا على أدب عام تنضوي تحت لوائه كافة الآداب القومية، أو تنسجم فيه كجسم متعض أو كشجرة وارفة الظلال تتألف من جذور وجذع وأغصان، فنحاول إيجاد تعريف أوضح باللجوء ثانية إلى الأدب القومي، ونقول: إن البحث المستفيض والمتعمق عن عناصر تكوين الأدب القومي قد تؤدي إلى تحديده وتفسير ظواهره تفسيرا علميا، وبالتالي إلى تصنيف العناصر الدخيلة عليه، والتي تخالفه، وإلى نسبتها إلى أدب غريب صدرت عنه، فالدعوة إلى دراسة الأدب القومي، وتناقض مبادئه ومقوماته، وبما أن هذه العناصر تمنح كل أدب هويته ولونه ونوعه، يتألف إذا الأدب العام من لوحة ترتسم فيها الآداب بكاملها مع هوياتها وألوانها، وأنواعها المختلفة والمتباينة والمتناقضة.[1]

[1] - ريمون طحان: الأدب المقارن والأدب العام، ص98،99.

الفصل الثالث: الأدب العالمي

المبحث الأول: مفهوم الأدب العالمي.

المبحث الثاني: الإرهاصات الأولى للأدب العالمي، ومنهجه.

المبحث الثالث: معايير الأدب العالمي ومؤشراته.

الأدب العالمي :

الأدب العالمي هو مصطلح من وضع الشاعر الألماني (غوته)، ويعني ضمنا أن الأدب ينبغي أن يدرس على اتساع القارات الخمس كلها، إلا أن غوته لم يكن يدور في خلده مثل هذا المعنى الواسع، واستعمل المصطلح ليبشر بزمان تصبح فيه كل الآداب أدبا واحدا.

ويحمل هذا المصطلح طموحا غيبيا باتجاه توحيد الآداب جميعها في تركيب عظيم تلعب فيه كل أمة دورها ضمن إئتلاف عالمي. وبالطبع يبدو هذا الطموح بعيدا جدا وإن كانت تجارب التفاعل الثقافي في العصر الحديث تشير إلى وجود خطوط كثيرة مشتركة بين الأمم، أو على الأقل بين مناطق شاسعة من العالم المعاصر، وفي الواقع يميل العصر الحالي إلى تشجيع المحلية الشديدة والعالمية الشديدة، فثقافته أشبه بحديقة واسعة منسقة جيدا، ولكنها متنوعة تنوعا شديدا. وهناك معنى آخر لمصطلح (الأدب العالمي) وهو الروائع العظيمة أي تلك السلسلة الأدبية ذات السحر المستمر التي تجمع آثار هومر ودانتي وسرفانتس وشكسبير وغوته وتولستوي ودوستويفسكي وطاغور وغارسيا لوركا وماركز. إن هذه الآثار وما في مستواها مقروءة في كل أنحاء العالم، وفي كل عصر، ومعترف بقيمتها الفنية والفكرية، وهي التي تؤلف عند الكثيرين مفهوم الأدب العالمي، كما هو مستخدم في أيامنا هذه.[1]

تأسيس المفهوم: غوته

يرجع الفضل في صياغة مفهوم "الأدب العالمي" إلى الأديب الألماني الكبير (يوهان فولفغانغ فون غوته) الذي صاغ هذا المفهوم وبشر به في الأعوام الأخيرة من حياته، أي منذ أواخر العشرينيات إلى أواسط الثلاثينيات من القرن التاسع عشر ففي رسائله وأحاديثه الشهيرة مع سكرتيره "أكرمان" رأى غوته أن عصر الآداب القومية قد ولى، وأن عصر أدب جديد قد بدأ، ألا وهو عصر "الأدب العالمي". عندما صاغ غوته هذا المفهوم الجريء انطلق من أن الثورة الصناعية، وما رافقها من تطور في وسائل النقل والإتصال والطباعة والنشر، ومن نمو في المبادلات التجارية بين الشعوب، ستكون لها بالضرورة مترتبات ثقافية وأدبية، وستؤدي بالضرورة إلى تخطي الحدود القومية الضيقة للغات والآداب.

[1]- حسام الخطيب: آفاق الأدب المقارن عربيا وعالميا، ص27.

من الطبيعي أن لا يتمكن غوته في ذلك الوقت من أن يطرح تصورا دقيقا ومتكاملا للأدب العالمي الذي بشر به، وأن يكون مفهومه لذلك الأدب رؤيويا و تقريبيا، إلا أن الزمن قد أثبت أن ذلك المفهوم صحيح من حيث المبدأ. وانطلاقا من رؤيته المستقبلية هذه دعا غوته الأدباء عموما، والأدباء الألمان على وجه الخصوص، لأن يعوا حقائق العصر، وأن يستخلصوا ما يترتب عليها بالنسبة لإبداعاتهم الأدبية. وتتلخص تلك المترتبات في أن يتخلوا عن مواضيعهم وأساليبهم الأدبية الوطنية، وأن يكتبوا وفي أذهانهم تلك المنافسة الأدبية العالمية التي لا يصمد فيها إلا من يطور إبداعه الأدبي شكلا وموضوعا بحيث يرتقي إلى المستوى العالمي. إن المنافسة التي يستعرض لها الأدب الوطني من جانب الآداب الأجنبية ستجعل ذلك الأدب في وضع حرج، ولكن عصر "الأدب العالمي" سيوفر للأعمال الأدبية فرصا لم تكن موجودة في الماضي، ألا وهي فرص أن تنتشر خارج مجتمعاتها ولغاتها على الصعيد العالمي.[1]

على أية حال فإن مفهوم "الأدب العالمي" الذي صاغه الأديب الألماني غوته في ثلاثينيات القرن التاسع عشر قد لقي في أول الأمر إعراضا ورفضا من جانب علماء الأدب المقارن أكثر مما حظي به من قبول واستحسان. إلا أن الاهتمام بهذا المفهوم ما لبث أن تجدد منذ أواسط القرن العشرين، إن على الصعيد العلمي الأكاديمي، أم على الصعيد الثقافي العام، وأكثر من ذلك: لقد ظهر في المرحلة الأخيرة ما يشبه التضخم في استخدام عبارة "الأدب العالمي". فبالإضافة إلى "معاجم الأدب العالمي"، و"سلاسل الأدب العالمي" و"مكتبات الأدب العالمي" تحولت صفة "عالمي" إلى صفة بالغة الإيجابية، ينعت بها كثير من الأدباء والأعمال الأدبية بغرض الدعاية والترويج التجاري. لقد حقق مفهوم "الأدب العالمي" في النصف الثاني من القرن العشرين انتصارا كبيرا، بعد أن مر بسيرورة ما كانت ستخطر لواضعه غوته على بال، ولكن هل استقر هذا المفهوم أخيرا وحصل إجماع على مضمونه؟ [2]

إن النجاح الذي أحرزه مفهوم "الأدب العالمي" لم يزل ما ينطوي عليه هذا المفهوم من إشكالية وخلافية. فهناك خلاف شديد بين من يرى في الأدب العالمي مجموع الأعمال الأدبية الرائعة المتميزة التي تنتمي إلى آداب قومية مختلفة، جاعلا بذلك من الجودة الفنية مقياسا لعالمية الأدب، وبين من يرى أن الأدب العالمي هو تلك الآثار الأدبية التي تمكنت من أن تتخطى حدودها اللغوية والثقافية القومية، وأن تحظى بانتشار

[1]- عبده عبود: الأدب المقارن مشكلات وآفاق، ص74،75 .

[2]- المرجع نفسه، ص80 .

عالمي، إن بدون وسيط أو بوسيط ترجمي ونقدي. فأساس هذا المفهوم هو الانتشار العالمي، سواء ترافق مع جودة فنية وفكرية أم لم يترافق. وهناك أخيرا من يرى أن "الأدب العالمي" هو مجموع الآداب القومية الموجودة في العالم، بصرف النظر عن المستويات الفنية والانتشار العالمي لأعمالها. وهذا يعني أن هناك ثلاثة مفهومات للأدب العالمي، لكل منها حججه ومترتباته وأنصاره، وإذا كان التوفيق بين المفهومين الأول والثاني ممكنا إلى حد كبير، وذلك لأن الروائع الأدبية كثيرا ما تحظى بانتشار عالمي، فإن التوفيق بين هذين المفهومين وبين المفهوم الثالث أمر بالغ الصعوبة. فأنصار هذا المفهوم يأخذون على المفهومين الأخيرين مركزيتهما الأوروبية والغربية، لأن جل الأعمال الأدبية الرائعة والمنتشرة عالميا تنتمي فعليا إلى الآداب الأوروبية والغربية، مما يعني أن تصويرهما للأدب العالمي ينطويان على إجحاف بحق الآداب القومية الأخرى، وبآداب شعوب العالم الثالث على وجه التحديد، ولذا يطالب أنصار المفهوم الثالث بتبني مفهوم التكافؤ والمساواة بين الآداب. أما أنصار المفهومين الأول والثاني فهما يريان بالمقابل أن "الأدب العالمي" ليس هيئة عامة للأمم المتحدة، يتساوى فيها صوت دولة متطورة عظمى مع صوت دولة متأخرة فقيرة صغيرة.

فالمساواة بين الآداب فيما يتعلق بالعالمية أمر غير ممكن، لأن الآداب تختلف عن بعضها البعض في تطورها وغناها ومستوياتها الفنية والفكرية. وهكذا فإن مفهوم "الأدب العالمي" يعكس ما هو قائم في الساحة الثقافية الدولية من تناقضات.[1]

استخدم غوته اصطلاح الأدب العالمي عام 1827 في معرض تعليقه على ترجمة مسرحيته تاسو إلى الفرنسية، وعدة مرات بعد ذلك، بمعان متفاوتة أحيانا: وكان يفكر في أدب عالمي موحد تختفي فيه الفروق بين أدب وآخر مع أنه كان يعرف أن تحقيق ذلك رهن بالمستقبل البعيد. وقد ساوى غوته في إحدى مسوداته بين الأدب " الأوروبي "و الأدب " العالمي" لكن لا شك في أن تلك المساواة مشروطة، وهناك قصيدة معروفة لغوته عنوانها " الأدب العالمي "(1827)، تتغنى بمتع الشعر الشعبي في واقع الحال، وحصلت على عنوانها نتيجة خطأ ارتكبه محقق الطبعة 1840 التي نشرت بعد وفاة غوته. لقد درس تاريخ هذا المفهوم دراسة جيدة، والأدب العالمي هذه الأيام قد يعني ببساطة كل الأدب كما في عناوين الكثير من الكتب، مثل كتاب أوتوهاوز، أو قد يعني مجموعة من الروائع المنتقاة من عدد كبير من اللغات، كقولنا إن

[1]- عبده عبود: الأدب المقارن مشكلات وآفاق، ص81 .

هذا الكتاب أو ذلك الكاتب ينتمي إلى الأدب العالمي: بهذا المعنى ينتمي إبسن إلى الأدب العالمي، بينما لا ينتمي إليه يوناس لي، وينتمي سويفت إلى الأدب العالمي ولا ينتمي توماس هاردي إليه.[1]

المفهوم المعاصر:

غير أن ما رمى إليه غوته، وما فهمه الذين جاءوا بعده، لم يعد اليوم واردا عند الحديث عن الأدب العالمي، وإنما يستخدم هذا المصطلح اليوم ليعبر عن عدد من الاتجاهات المختلفة. كل واحد منها فهمه الداعون إليه ليخدم غرضا معينا.

هناك من يفهم من الأدب العالمي الدعوة إلى العناية بالأعمال الأدبية الخالدة، لأنها نتاج الإنسانية كلها وتراثها، بترجمتها وشرحها، وتيسير تداولها، مثل: هومير ودانتي والمعلقات وأبي العلاء والمتنبي والجاحظ وشكسبير وجوته، وآخرون كثيرون تجاوزت شهرتهم كل الآفاق، وامتدت عبر كل الأزمنة، وأدبهم دون أن نجرده من قوميته ينتمي إلى الإنسانية كلها بقدر ما ينتمي إلى أوطانهم، فهو أدب قومي ولكنه يتجاوز حدود القومية إلى ما هو أفسح منها، هموما وشعورا وامتدادا، فمن الآداب ما يفرض نفسه مهما يكن الواقع السياسي للأمة التي أنتجته، وفي هذه الحالة فإن مصطلح الأدب العالمي يجيء مرادفا لمفهوم "المؤلفات الخالدة" عند آخرين، وهي التي تقوم الآن على إصدارها دار النشر الكبرى مترجمة إلى اللغات الأساسية تحت عناوين مختلفة: روائع الأدب العالمي، الخالدون، الحائزون على جائزة نوبل، تراث الإنسانية، وغيرها. وتقوم المؤسسة العالمية للتربية والعلوم والثقافة التابعة لهيئة الأمم المتحدة، أي اليونسكو، بدور محدود في هذا المجال، ولكنه دقيق و مفيد.[2]

إن إشباع الرغبة في البحث عن أدب إنساني لا يتم إلا عن طريق اكتشاف ثروات جديدة، وبالمقارنة نضع يدنا على العناصر الفعالة والأصيلة والتي تتيح لعمل أدبي ما أن يتمتع بإشعاع قوى و وهاج على مدى السنين، ولقد أوضح العالم السويسري فريتز شتريخ، وهو ألماني اللغة، في دراسة ممتعة عن الأدب العالمي أنه يتألف من الأعمال الأدبية التي نجحت عالميا بما تمثل من قيم خالدة، لأن مجرد النجاح العابر

[1]- رينيه ويليك : مفاهيم نقدية ، ص258 ،259.

[2]- الدكتور الطاهر أحمد مكي : الأدب المقارن أصوله و تطوره و مناهجه ، ص 639 ، 640 .

والشهرة الخاطفة لا يكفيان، وأعطى لذلك مثلا: الذين كانوا يشاهدون مسرحيات الكاتب الألماني أوجست فون كوتزبو، أكثر من الذين كانوا يقبلون على مسرحيات جوته.[1]

إن ما يزكى عملا أدبيا كي يأخذ مكانه من قافلة الأدب العالمي لا يعود إلى عبقرية الكاتب فحسب، وإنما يرتبط بقيم عالمية ينطوي عليها العمل نفسه، فقد تميزت الكلاسيكية الفرنسية بفكرها الواضح فشقت طريقها إلى كل الآداب الأوربية بلا صعوبة. ولا تزال تقدم للعالم قيما فكرية وفنية تثير التأمل والنقاش والجدل. وعرف ابن حزم في كتابه "طوق الحمامة" كيف يعزف على الإيقاع العاطفي بمهارة، ويقدم لجمهرة العشاق خلاصة تجاربه في هذا المجال، دون وعظ رتيب أو إثارة مفتعلة، وأن يلم بجوانب موضوعه في استقامته و جديته، وفي انحرافه وهزله، وأن يرتفع به فوق المحلية، وأن يجعل كل من يخفق قلبه بالحب، ويهتز كيانه أمام الجمال، أن يصبح معجبا و مندهشا: كل هذا حدث له، و وقع منه وإن لم يستطع التعبير عنه كما فعل ابن حزم، ومن هنا أخذ كتاب طوق الحمامة طريقة إلى جل اللغات الأجنبية على أيامنا هذه.

غير أننا يجب ألا ننسى أن عالمية أدب ما مرتبطة بمستوى الحضارة التي يمثلها أكبر ارتباط، وكلما كانت هذه الحضارة مزدهرة، وأمسكت بتفوقها، كلما ساعد ذلك على أن يأخذ أدبها مكانه اللائق به في قافلة العالمية.[2]

الإرهاصات الأولى للأدب العالمي:

نجد عند فان تييجم موضعة للأدب العالمي في ملازمته لفترات تاريخية بعينها، تؤصل وتحدد في أربع عالميات أوربية، يظهر أن فان تييجم يتبناها لأنه يعرضها ككليات إنسانية دون أن يدري أنه يتحدث فقط عن عالمية أوروبية محضة، وهي غير تلك التي يتعرض لها جوته في مواضع أخرى من كتاباته. يقول فان تييجم:[3]

«كان جوته في عام 1827 يتحدث إلى إكرمان عن "الأدب العالمي" على أنه مجموعة من الآداب الخاصة ينبغي أن نحسن النظر إليها، حتى لا نقع فريسة أخطاء قومية، فبعد عالمية المسيحية والفروسية في

[1]- ينظر، الدكتور الطاهر أحمد مكي: الأدب المقارن أصوله و تطوره و مناهجه، ص 640 .

[2]- المرجع نفسه، ص 640 ، 641 .

[3]- سعيد علوش: مدارس الأدب المقارن، ص31 .

القرون الوسطى، والعالمية الإنسانية في عصر النهضة، والعالمية الكلاسيكية الفلسفية في عصر التنوير، ظهرت عالمية رومانطيقية تاريخية، تعني أكثر من العالميات التي سبقتها بالاختلافات القومية، وتسلم بوجودها وتحاول فهمها »[1].

وباستثناء العالمية الرومانطيقية التي تنفتح على الاختلافات القومية، فإن باقي العالميات تدور في إطار مركزية أروبية.[2]

إن المصطلح الدعائي للأدب العالمي يطالب بالاعتراف به عبر كل دول العالم، وبطبيعة الحال نقصد العالم الغربي.

ويقترح الأدب العالمي كذلك عامل الزمن، وكقاعدة، فإن الحصول على الشهرة العالمية يلزمها وقت، لأن الأدب العالمي غالبا ما يتعامل مع الأدب المتعارف على عظمته، بواسطة اختبار عامل الزمن، إن الأدب المعاصر رغم كل ذلك لا يمكن تغطيته بمصطلح الأدب العالمي، بينما يستطيع الأدب المقارن، على الأقل نظريا، مقارنة أي شيء تمكن مقارنته بغض النظر عن قدم أو حداثة العمل أو الأعمال، يجب أن نقبل من خلال التطبيق أن جل دراسات الأدب المقارن، تتعامل مع نماذج أدبية، تنتمي إلى الماضي، والتي استطاعت الوصول إلى الشهرة العالمية الواسعة، إن ما قمنا به منذ الماضي وما سوف نقوم به لهو في الواقع "أدب عالمي مقارن". [3]

وتساعد عوامل الزمن والفضاء والنوعية أو الجودة، والتركيز على إيجاد فروق في الدرجة بين الأدب العالمي والأدب المقارن، إلا أنه توجد فروق أكثر جذرية، حيث يستوجب مثلا التصور الأمريكي، في المكان الأول بحوثا في العلاقات بين الأدب والمدارات الأخرى، بينما لا يتطلب الأدب العالمي ذلك. وفيما يخص الإنتاجات الألمانية في هذا الحقل يظهر على أن: [4]

[1]- فان تييجم الأدب المقارن، ص28 .

[2]- سعيد علوش : مدارس الأدب المقارن، ص32 .

[3]- المرجع نفسه، ص44 .

[4]- المرجع نفسه ، ص45 .

« المؤلف الضخم، الذي كتبه أحد كبار الموسوعيين الألمان، وهو كيروفون فيليبيرت والذي دون فيه: "الأدب العالمي الحديث"، لا يأخذ بعين الاعتبار سوى الأدبين الأوروبي المعاصر، والأدب الأمريكي التابع له. وكذلك الشأن بالقاموسين الذين ألفتهما إليزابيت فيرنزيل ويعالجان "أعلام الأدب العالمي"، "وتيمات الأدب العالمي"، فالأعلام والتيمات، كما تطرقت إليهما إيليزابيت فرينزيل، تنبثق كلها من "دخائر" الأدب الغربي، هذا بغض النظر عن أن إيليزابيت فرينزيل، لا تناقش و لو سطحيا، مفهوم الأدب العالمي في مؤلفيها، على اعتبار ما يمثله ذلك من قاعدة أساسية للدراسات الأدبية الألمانية »[1]. ولم يقف الأمر عند هذا الحد، بل نجد يوسف كفاك، و فريتس راداش يقومان بتعزيز هذا الاتجاه، من خلال تقديمهما لخزانة الآداب الأوروبية، بدل خزانة للآداب العالمية، وقد حاول ما تمريدبرا ونثيك، تجاوز كل هذا بعمله الضخم "قاموس الأدب العالمي للقرن العشرين"، مشددا على القطيعة مع المفهوم المعياري التقييمي والأوروبي للأدب العالمي، مراعيا في ذلك تقديم الآداب: الإفريقية والعربية والأسيوية .[2]

«مصطلح الأدب العالمي الذي يترجم له عند جوته، له جانب تعظيمي. ربما كان زائدا، وهو يفترض دراسة أدب القارات الخمس من إسلاندا إلى زيلاندا الجديدة. والحق أن ليس هذا ما يقصده جوته. ويدل تعبير الأدب العالمي بالنسبة إليه على الفترة التي كانت فيها الآداب واحدة، أنه مثالية توحيد كل الآداب في تركيب موسع، حيث تأخذ كل أمة نصيبها في نسق عالمي. إلا أن جوته كان يعرف جيدا بأن الأمر يتعلق بمثال مستبعد التحقيق، وإن أية أمة غير مستعدة للتخلي عن فرديتها. ومن الأكيد أننا اليوم أكثر بعدا عن هذه الوحدة، ونقول في نفس الوقت بأنه من غير المتمنى محو اختلافات الآداب الوطنية.

إن الأدب العالمي غالبا ما يستعمل بمعنى ثالث، حيث تعبر صيغته عن التراث الكبير الذي خلفه الكلاسيكيون من أمثال هوميروس، ودانتي، وسيرفانتس، وشكسبير وجوته، حيث انتشر صداهم في أصقاع العالم، ويستمر من أمد طويل، وقد أصبح إطلاق هذا الاسم مرادفا ل" الأعمال الكبرى" وهو يغطي مختارات من الأعمال الأدبية تبرر جزئيا في الاصطلاح النقدي و البيداغوجي، إلا أنه لا ترضي الموسوعي:

[1]- فوزي بوبيا: الأدب العالمي والمغايرة ، ت: سعيد علوش، مجلة (الثقافة الأجنبية) بغداد، 1986.

[2]- سعيد علوش : مدارس الأدب المقارن ، ص45 .

لأن هذا الأخير لا يمكنه التوقف فقط عند القمم، إذا أراد فهم السلسلة بكاملها، أو التاريخ في تطوره »[1].

وتصيبنا الخيبة حين نلاحق نصوص جوته، على اعتبار أنه الأب الروحي لاصطلاح الأدب العالمي، إذ أنه يرى في كل خاص كيفما كانت اعتباطيته 'على خلاف رأي روني ويليك السابق' شفافية وإشعاع العالمي، عبر كل الوطنيات والفرديات، حيث يتجسد الأدب العالمي عملية إنجاز تلقي القراءة. وهكذا يبسط جوته، مفهوما واسعا لعالمية تنطبق على كل الأمم. [2]

فالعالمية ليست صفة تلصق بالأعمال، بقدر ما هي ملازمة لها. وللأسف فإن كلود بيشوا لا يخفي كون هاته الملازمة لصيقة بظواهر خارج أدبية، إذ يجدها في دعم الحضارة المهيمنة، التي يندرج فيها هذا الأدب العالمي، وما يغيب عن بيشوا، هو أنه وقبل كتابة أدب عالمي، علينا بتكوين مجموعات كبرى، تمتلك إطارها الطبيعي عبر حدود الجماعات الاثنية أو اللسنية، ذات العلاقات المتلازمة و المتبادلة، إذ بدون تبادل متكافئ يستحيل بلوغ هدف إنساني، فلا يوجد أي هدف إنساني يقوم على استبعاد الأسهامات المنسية جهلا أو تجاهلا، لأن النهضات المتأخرة تمنحنا في كل لحظة تاريخية مزيدا من الاكتشاف لهذا الإنساني، الذي لا يفترض إبعاد الآخر بقدر ما يبحث عن إشراكه، حيث يوجد بين تاريخ الآداب الوطنية والأدب المقارن من جهة، وتأليف الأدب العالمي من جهة، شبه لعبة للمد والجزر، يستفيد منها البعض من الآخر ويكمل فيها الواحد الآخر.[3]

من هنا يلاحظ روني ايتيامبل، كأبرز من يلخص وجهة المدرسة الفرنسية أنه حين يخرج علينا غوته بمصطلح الأدب العالمي فهو يستعمل كلمة مركبة، يمكن ترجمتها إلى الإنجليزية وإلى الفرنسية، وإلى الروسية، إلا أن هذا الأدب العالمي الذي خصه الروس بمؤسسة بموسكو، تحت إشراف ماكسيم غوركي، لا ينطبق تماما على الأدب العام أو المقارن، لأن كل الآداب العالمية التي يمكن أن نقرأ تكتفي بتجميع مونوغرافيات

[1]- المرجع نفسه،ص 47.

[2] – المرجع نفسه، ص47، 48 .

[3] - المرجع نفسه، ص50 .

الآداب الوطنية، التي تشير بطريقة أو بأخرى إلى التأثيرات الأجنبية أو إلى بروز ظواهر متشابهة، تحدث في دول مختلفة وفي وقت واحد، نتيجة بنيات سوسيو-اقتصادية مشتركة، بين هذه الدول.[1]

منهج الأدب العالمي:

لا يزال منهج هذا العلم، أو الفرع من الأدب المقارن، في طور التكوين، غير أن الجميع يتفقون على أن مراعاة الترتيب التاريخي شيء ضروري لتحديد العصور الكبرى، ولكنهم في نطاق كل عصر قد يعدلون عنه إلى لون من الترتيب العقلي، بتكوين مجموعات من الكتب أو المؤلفات متجانسة فيما بينها، تنتسب إلى أدب واحد أو إلى آداب مختلفة، ويمكن أن تقوم هذه المجموعات على أساس من الاتجاهات الفنية الرئيسية، كالمثالية والواقعية والكلاسيكية والرومانسية، ويمكن أن تنهض على أساس اجتماعي فتميز في العصر الواحد بين الأدب الديني والأرسقراطي والبرجوازي والشعبي، وهي تقسيمات يمكن أن تؤدي دورها فيما يتصل بالعصور الوسطى، ولكن الأمر في العصر الحديث تشعب وتشابك على نحو لم تعد التقسيمات تجدي فيه كثيرا، ولعل خير مثال لمثل هذه الدراسة، ولو أن صاحبها قصرها على أوروبا، كتاب فان تييجم "موجز التاريخ الأدبي لأوروبا منذ عصر النهضة"، فقد قسمه إلى ثلاث فترات كبرى: عصر النهضة والعصر الكلاسي، والعصر الحديث، وفي كل قسم أورد عدة فصول، عالج في كل واحد منها النزعة التي كانت سائدة، مثل النزعة الفلسفية والإنسانية والرومانسية وغيرها، أو النوع الذي كان متميزا، مثل الملحمة والمأساة والرواية، وكل ذلك على نحو يبرز المكانة التي يحتلها كل كاتب في التراث العالمي. غير أنه فيما يتصل بالعصر الحديث، وجعل القرن التاسع عشر بداية له. قسمه بحسب الأنواع من شعر ورواية ومسرحية، وحاول في كل قسم منها أن يستخرج التقاليد والأنماط الجديدة في الفكر والفن .[2]

[1] - المرجع نفسه ، ص51.

[2] - الدكتور الطاهر أحمد مكي : الأدب المقارن أصوله و تطوره و مناهجه ، ص642.

وألف أحمد أمين و زكي نجيب محمود كتابهما "قصة الأدب في العالم"، وصدر في القاهرة أعوام 1943 – 1948 في أربعة أجزاء، ومعه طافا بالأدب قديما وحديثا في شتى أنحاء العالم، مع تعريف موجز بأعلامه واتجاهاته.

وحاول أورباخ أن يؤرخ للواقعية منذ عصر هومير حتى جويس في أيامنا هذه، من خلال تحليل الأساليب في النصوص المختلفة، وهو مع كتاب كورتيوس يمثلان أثرين عظيمين للثقافة الواسعة العريضة التي تتجاوز القوميات المستقرة، وتؤمن بوحدة الثقافة الغربية، وخصوبة التراث الكلاسي القديم، والمسيحي في العصر الوسيط .[1]

يؤدي قيام الأدب العالمي إلى انصهار التاريخ الأدبي في التاريخ العام، لأن مؤرخي العصر الحديث لم يعودوا يقفون عند الأحداث السياسية أو تاريخ الحروب أو المعاهدات، وإنما يتجاوزونها إلى معالجة التاريخ الاجتماعي والاقتصادي والديني والفني الذي تربطه ببعضه البعض روابط كثيرة، وهي أشياء أصبحت منذ مدة طويلة تدرس من وجهة نظر عالمية .[2]

[1] - المرجع نفسه، ص642 ،643.

[2] - ينظر، المرجع نفسه، ص643.

معايير الأدب العالمي و مؤشراته:

لقد توصلت الدراسات التي اهتمت بالأدب العالمي إلى جملة من المؤشرات التي يستند إليها المنشغلون في الحقول البحثية و المعرفية للأدب العالمي ومن أبرزها:

1/ مؤشرات الجودة الأدبية:

تتجلى بتحقيق العمل الأدبي المرشح لحمل هوية الانتماء إلى الأدب العالمي، قيما جمالية فنية وفكرية، تضيف جديدا إلى المنجزات الأدبية في العالم، فيقدم كما قال عبده عبود: (إضافة جمالية وفكرية إلى الأدب في العالم) .[1]

ولقد ظل تحديد القيم الجمالية والفكرية التي تؤهل العمل الأدبي، موضوعا لخلافات نقدية منذ ظهور مصطلح "الأدب العالمي" مع غوته فاستمر الدارسون يوجهون سهام النقد إلى القيم التي قدمها أسلافهم مقترحين قيما بديلة، وغالبا ما تقدم تلك القيم في نسيج رؤية نقدية محتجة إلى شروح ومناقشات، يخلص الباحث في دلالاتها إلى الإقرار بغموضها.

إن تحديد الأدب العالمي بالانتماء إلى العالم ومن أجل العالم، وبالسمو سماوكونيا، تحديد يؤكد ما ذهب إليه أحد الباحثين في معرض المقارنة بين هوميروس وشيكسبير وجود أدبهما بقوله: «إن ما يميز هوميروس وشكسبير، ليس فقط مواهبهما الفذة كشاعرين ملكا ناصية الكلمة، وكخالقين للصور، ولكن ما نسميه شمولها وعالميتها».[2]

[1] - عبده عبود : الأدب المقارن ، جامعة البعث حمص سوريا 1998 ،ص346 .

[2] - راتب سكر : مصطلحات مخاتلة (مصطلح الأدب العالمي نموذجا) منشورات الهيئة العامة السورية للكتاب وزارة الثقافة دمشق 2018 ، ص 42.

2/ الترجمة و التوسيط النقدي:

تعد ترجمة العمل الأدبي إلى اللغات المختلفة، واهتمام النقاد في البيئات الأدبية والثقافية لتلك اللغات، بهذا العمل الأدبي، من المؤشرات الأساسية للدلالة على عالميته التي تؤهله لحمل هوية الأدب العالمي، وقد اصطلح الدارسون على تسمية نقد النقاد للأعمال الأدبية الأجنبية "توسيطا نقديا"، يقول في هذا الصد عبده عبود موضحا المصطلح: « المقصود بالتوسيط النقدي هنا، ما يكتبه النقاد الأدباء في كل بلد عن آداب الشعوب الأخرى ».[1]

نزع الباحثون إلى جمع مؤشري الترجمة والتوسيط النقدي معا، منطلقين من تداخلهما إجرائيا ومنهجيا، إذ يرتبط نقد العمل الأدبي الأجنبي في معظم الحالات بترجمتها فيواكبها، ويعتمد منجزها غالبا. وعرفت البحوث الأدبية اجتهادات متنوعة في منح هذين المؤشرين سلطة الإقرار بالعمل الأدبي وعالميته وإثرائه في الوقت نفسه، كما يوضح موقف الناقدة الفرنسية باسكال كازانوفا في كتابها المهم "الجمهورية العالمية للآداب" الصادر في باريس عام 1999 بقولها: «الترجمة شأنها شأن النقد، هي بنفسها وسيلة لإعلاء قيمة العمل أو إقراره ... فالقيمة الأدبية القوية التي تتكون من اعتراف النقد الحقيقي، تسمح بزيادة التراث الأدبي للأمة التي تحظى به، ولذلك يعتبر اعتراف النقد والترجمة أسلحة في الصراع من أجل رأس مال أدبي».[2]

وأصبح للترجمة مكانة و دور في نشر تلك الأعمال عالميا، وفي تفاعلها مع الآداب العالمية المختلفة، يتعزز في الدراسات الأدبية العربية و العالمية .

[1] - عبود عبده : الأدب المقارن ، ص185.

[2]- كازانوفا باسكال : الجمهورية العالمية للآداب ، ترجمة آمل الصبان ، المجلس الأعلى للثقافة القاهرة 2002 ، ص30.

3/ الجوائز الأدبية العالمية:

لاحظ دارسو الأدب العالمي ومؤشرات حدوده وهويته، أن منح العمل الأدبي جائزة أدبية عالمية، يعد اعترافا بعالميته، ويسهم في انتشاره واستقباله عالميا، وهذا ما يلحظ في سيرة الأديب الأرجنتيني خورخي بورخيس (1985/1899) الذي منح عام 1961 جائزة الناشرين الدولية مع صموئيل بيكيت (1989/1906)، فعززت حضوره عالميا، وتعززت ترجمات أعماله إلى اللغات العالمية المختلفة، ومنها العربية التي توجت بنشر كتاب في دراسة قصيدة واحدة له بعنوان "فن الشعر".

4/ الشهرة الأدبية داخل الحدود اللغوية و خارجها:

تذكر الكثير من الدراسات النقدية المهمة والرصينة، الشهرة الأدبية الواسعة، مؤشرا ومعيارا لعالمية الأدباء وانتماء نتاجهم إلى الأدب العالمي، الذي يعرفه رينيه ويليك مستندا إلى هذا المعيار قائلا: «قد يعني الكنز العظيم من الآثار الكلاسيكية كآثار هومر، دانتي سرفانتس، شكسبير وغوته، ممن طبقت شهرتهم الآفاق، وكانت في القدم خدن الزمان» .[1]

إن أحكام النقاد والدارسين غلى أهمية المؤشرات والمعايير لتوصيف انتماء الأعمال الأدبية إلى حقول الأدب العالمي، ومنحها هويته، لا يرتهن لتراتب تلك المؤشرات والمعايير تراتبا صارما، يقول عبده عبود في هذا الشأن: «أما الأدب العالمي الذي يستحق هذه التسمية فهو أدب تسهم فيه آداب العالم بصورة متوازنة، ومتكافئة، بلا هيمنة ولا تبعية، وهذا لا يتم إلا إذا توافرت للآداب كلها فرص تجاوز حدودها اللغوية والثقافية، من خلال الترجمة والتوسيط النقدي، فهما أبرز لمؤشرين لعالمية الآثار الأدبية» .[2]

[1]- رونييه ويليك و أوستن وارين : نظرية الأدب، ص52.

[2] عبده عبود و زميلاه : الادب المقارن ، مداخلات نظرية و نصوص جامعة دمشق سوريا 2001 ، ص383.

الأدب العالمي و الأدب القومي:

يختلف الأدب العالمي عن الأدب القومي في أمرين: أولا فيما يتصل بالعناصر التي يهتم بها، وثانيا في طريقة ترتيب هذه العناصر، ويختلف عنه مضمونا وخطة.

من ناحية المضمون قد يجد الأدب العالمي عند بعض كبار الكتاب فيما تختلف عن القيم التي يستحقونها في آدابهم الخاصة، لأن الدور الذي لعبه كل منهم على المسرح العالمي يتفاوت كثيرا عن الدور الذي لعبه في إطار أدبه القومي، وقد يخرج من زوايا النسيان كُتابا يُعدون في أدبهم القومي من الطبقة الثانية أو حتى الثالثة، ولكن تأثيرهم عالميا لا يقل عن تأثير غيرهم، فإذا ما عاد إلى الوراء إلى القرون الوسطى، أعطى اللغة العربية والأدب العربي مزيدا من الاهتمام بوصفهما الأرقى والأعظم تأثيرا وعالمية، ثم إلى اللاتينية لأنها كانت لغة الأدب في أوربا كلها تقريبا، وبهذا كان التعبير في كثير من روائع الفكر الأوربي، وفي العواطف الرقيقة، وتركت أثرها على امتداد رقعة واسعة من الأرض.[1]

وإذا كان الأدب العالمي كالمقارن، يهتم بكتاب الطبقة الثانية في الآداب الكبرى، فهو يهتم أيضا بالآداب ذات المساحة المحدودة مكانا أو زمانا، ويضع كتابها البارزين في مكانهم من التطور الأدبي العام، كالآداب التي كتبت في اللغة السريالية قديما، أو السواحلية حديثا، أو بعض اللهجات التي تحولت إلى لغات قومية أو ذابت فيها كالأدب البروفنسالي والأدب القطلوني .[2]

[1]- ينظر، الدكتور الطاهر أحمد مكي : الأدب المقارن أصوله و تطوره و مناهجه ، ص641 .

[2]- المرجع نفسه ، ص641 ، 642 .

خاتمة

خاتمة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، الحمد لله الذي أعاننا حتى أكملنا هذا العمل بهذه الصورة التي استوقفنا تفصيلها على جملة من النتائج كان أهمها:

* الأدب القومي هو الأدب الخاص بجماعة بشرية تنضوي تحت راية هوية جمعية محددة، من مثل القوم أو الشعب أو الأمة، وينتج عادة بلغة هذه الجماعة التي ترى فيها لغة أما تجمع بين أفرادها وتوحدهم تحت رايتها باتخاذها أداة تفكير وتعبير وتواصل فيما بينهم.

*لا وجود لأدب قومي إلا بواسطة اللغة، وليس هناك في مجال الثقافة وفروعها أمر أشد تأثيرا في الشعوب منها لأن عملها لا ينحصر في الفهم والإفهام، وإدراك أفكار الآخرين فقط بل يتجاوزه إلى ربط أفراد الشعب أو القوم بوحدة الآمال والأماني.

*لقد كان للأدب المقارن أهمية في إثراء الأدب القومي من خلال الاطلاع على آداب أجنبية والنهل من منابع ومن موارد أخرى في الآداب العالمية والقضاء على نزعة الاعتداد بالنفس والتعصب للغة والأدب القومي

*الأدب المقارن يتيح لنا معرفة الإنسان ويبرز لنا الجواهر المشتركة فيه مما يزيد في التفاهم والتقارب بين الشعوب والأمم لمعرفة عاداتها وطرائف تفكيرها، وآمالها الوطنية و القومية، وتبادل المنفعة، والأخذ و العطاء، والتأثير والتأثر.

* الأدب العام يعنى خاصة بدراسة ما هو جوهري في الإنتاج الأدبي، أو ما يسمى مضمون الأدب وقد يعنى بدراسة الشكل وبالقوالب العامة.

* كلما تجاوزنا العلاقات الثنائية، وكلما انتقلنا من الخاص إلى العام عبرنا حدود الأدب القومي والأدب المقارن ودخلنا في حقل الأدب العام.

* الأدب العالمي لا يدرك إلا في شكل تاريخ عالمي، بينما يستخلص الأدب العام، من التاريخ العالمي للآداب مجموعة محددة من الإدراكات والثوابت.

* دلالة اصطلاح " الأدب العام " من السهل معارضته بالتعبير الشائع لـ "الأدب الوطني"، فالأدب العام يصل بين مختلف الآداب الوطنية، ويفتح الجسور بين الأدب والفنون الجميلة.

* يحمل مصطلح الأدب العالمي غيبيا باتجاه توحيد الآداب جميعها في تركيب عظيم تلعب فيه كل أمة دورها ضمن إئتلاف عالمي.

قائمة المصادر و المراجع

قائمة المصادر والمراجع:

1/ الكتب:

- بول فان تيغم : الأدب المقارن ، دار الفكر العربي القاهرة .

- بيير برونيل، كلود بيشوا، أندريه ميشيل روسو: ما الأدب المقارن؟ ترجمة غسان السيد، دار علاء الدين، ط1، 1997م، دمشق .

- جون فليتشر: نقد المقارنة، ترجمة نجلاء الحديدي، مجلة فصول، ع3، 1983م.

- حسام خطيب: آفاق الأدب المقارن عربيا وعالميا، ط2، دار الفكر، دمشق، 1999.

- حيدر خضري: التجربة السلافية والدرس المقارن للأدب، العدد10، السنة 2008.

- راتب سكر : مصطلحات مخاتلة (مصطلح الأدب العالمي نموذجا) منشورات الهيئة العامة السورية للكتاب وزارة الثقافة دمشق 2018.

- رينيه ويليك، أوستن وارن: نظرية الأدب، دار المريخ للنشر، الرياض، المملكة العربية السعودية، 1992م.

- رنيه ووليبك: مفاهيم نقدية، ترجمة محمد عصفور، عالم المعرفة 110، الكويت 1987م.

- ريمون طحان : الأدب المقارن و الأدب العام ، دار الكتاب اللبناني-بيروت ، ط1 ، سنة 1972.

- سعيد علوش: مدارس الأدب المقارن، المركز الثقافي العربي، ط1، 1987.

- سوزانباسنيت: الأدب المقارن مقدمة نقدية، ترجمة أميرة حسن نويرة، المجلس الأعلى للثقافة المشروع القومي للترجمة، سنة 1999م.

- شريف الجرجاني: التعريفات، وضع حواشيه و فهارسه محمد باسل عيون السود، دار الكتاب العلمية، بيروت، لبنان، ط2،س2003م.

- طاهر أحمد مكي: الأدب المقارن أصوله وتطوره ومناهجه، دار المعارف، القاهرة، ط1، 1987م.

- طه: ندا : الأدب المقارن ، دار النهضة العربية بيروت ، سنة 1987 م.

- عبده عبود: الأدب المقارن، مشكلات وآفاق، منشورات اتحاد كتاب العرب، 1999.

- عبده عبود و زميلاه : الادب المقارن ، مداخلات نظرية و نصوص جامعة دمشق سوريا 2001.

- كازانوفا باسكال : الجمهورية العالمية للآداب ، ترجمة آمل الصبان ، المجلس الأعلى للثقافة القاهرة 2002.

-كلود بيشوا ، أندرية ، م روسو: الأدب المقارن ، ترجمة : د. أحمد عبد العزيز ، ط 3، مكتبة الأنجلو المصرية ، القاهرة، جمهورية مصر العربية ، 2001.

- محمد غنيمي هلال : الأدب المقارن ، دار العودة ودار الثقافة بيروت لبنان ، 1981.

- ماريوس فرانسو جويار : الأدب المقارن ، باريس ، ترجمة محمد غلاب ، بيروت ، سنة 1956.

- ماريوس فرانسو اغويار: الأدب المقارن، ترجمة: هنري زغيب، ط 2، منشورات عويدات لبنان 1988.

2/المجلات:

- حيدر محمود غيلان: الأدب المقارن ودور الأنساق الثقافية، مجلة دراسات يمنية العدد 80، مارس 2006، صنعاء.

-راتب سكر: القومية و العالمية في الأدب والثقافة، جريدة الأيام، الأربعاء23 أغسطس 2017.

- عبد النبي اصطيف :مفهوم الأدب القومي، مجلة جامعة دمشق-المجلد34-العدد الأول-2018.

- فوزي بوبيا: الأدب العالمي والمغايرة ، ت: سعيد علوش، مجلة (الثقافة الأجنبية) بغداد، 1986.

3/ المحاضرات:

- زبير دراجي: محاضرات في الأدب المقارن.

- علي بوعزيزة: مطبوعة الأمالي (دروس في الأدب المقارن).

فهرس الموضوعات

فهرس الموضوعات

مقدمة.....أ

مدخل: الأدب القومي.....08

الفصل الأول: الأدب المقارن

المبحث الأول:مفهوم الأدب المقارن، النشأة والتطور.....13

المبحث الثاني: أهمية الأدب المقارن ومجالاته، وشروط المقارن وعدته.....18

المبحث الثالث:مدارس الأدب المقارن.....23

الفصل الثاني: الأدب العام

المبحث الأول:مشكلة المصطلح، وحقل اختصاصه.....31

المبحث الثاني: مجالات الأدب العام ومناهجه.....37

المبحث الثالث: الإرهاصات الأولى للأدب العام.....41

الفصل الثالث: الأدب العالمي

المبحث الأول:مفهوم الأدب العالمي.....49

المبحث الثاني: الإرهاصات الأولى للأدب العالمي، ومنهجه.....53

المبحث الثالث:معايير الأدب العالمي ومؤشراته.....59

خاتمة.....64

قائمة المصادر والمراجع.....67

ملخص المذكرة:

في هذه المذكرة قمنا بدراسة حول إشكاليات مصطلحية (الأدب القومي، الأدب المقارن، الأدب العام، الأدب العالمي)، بحيث تحدثنا عن مفهوم هذه المصطلحات، و مجالات اختصاصها، وكيف نشأت، وحاولنا التعمق في هذه المصطلحات التي تتشابك و تتداخل في ذهن القارئ، فتحدثنا في المدخل عن الأدب القومي، فهو الأدب الخاص بجماعة بشرية، مثل قوم أو أمة، وينتج عادة بلغة هذه الجماعة، بحيث لا وجود لأدب قومي إلا بواسطة اللغة، والفصل الأول تطرقنا فيه إلى الأدب المقارن قمنا بتعريفه وذكر أهميته، وكيف نشأ وتطور، مع ذكر أهم مدارسه، أما الفصل الثاني فكان يتحدث عن الأدب العام بما فيه من مشكلة مصطلحه، ومجالاته وحقل اختصاصه، والفصل الثالث والأخير فتحدثنا عن الأدب العالمي بما فيه من مفهومه، وإرهاصاته الأولى، ومعاييره، ومؤشراته.

Résumé :

Dans ce mémoire on étudie des problèmes terminologiques (la littérature nationale, la littérature comparée, la littérature générale, la littérature mondiale), nous avons donc parlé du concept de ces termes et ses domaines de spécialisation.

Tout d’abord, nous avons commencé par une introduction sur la littérature nationale. Dans le premier chapitre, nous avons discuté de la littérature comparée, nous avons défini et affirmé son importance.

Dans le deuxième chapitre, nous avons touché de la littérature générale et ses domaines de spécialisation.

Dans le dernier chapitre, nous avons discuté de la littérature mondiale, sa définition, ses domaines, normes et indicateurs.